

كِتَابُ حَدِيثِ الْعُرَبِيَانِ

عَنْ أَخْلَاقٍ وَعَادَاتِ أَهْلِ السُّودَانِ

تأليف

ع.ح.أ.ب

الناشر

مكتبة دار الفکر



شركة نوابغ الفكر ، القاهرة

البريد الإلكتروني :

Nawabgh_elfakr@hotmail.com

هاتف: 25936402

فاكس: 27865553

فهرست الهيئة المصرية العامة

لدار الكتب والوثائق القومية :

كتاب حديث العريان عن اخلاق وعادات اهالى السودان

تأليف

ط-1 القاهرة : شركة نوابغ الفكر 2014

عدد الصفحات :

1-السودان – العادات والتقاليد

2-الاخلاق

3- اداب السلوك

رقم الايداع: 2014/14698

- الترقيم الدولي: 2-23-6415-977-978

بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ

إِهْدَاء

إلى حماة الأخلاق

وأنصار الفضيلة

من بني السودان

ع . ح

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ وَبِهِ نَسْتَعِیْنُ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد الداعي إلى الطريق السوي القويم، وعلى آله وأصحابه الذين كانوا مثلاً عالياً في أخلاقهم وعاداتهم عليهم رضوان من الله أجمعين (وبعد فقد جاء في القرآن الكريم آيات تحث الناس على أشرف الأخلق وجميل العادات بل زادنا القرآن قصصاً عن أخبار الأمم الماضية وما كانوا عليه وضرب لنا الأمثال لعننا نترك الأخلاق السيئة والعادات القبيحة التي تنزل بالأمم إلى هوة الانحطاط السحيقة التي لا قرار لها ودركها الأسفل كما حثنا على التخلق بأكرم الصفات التي ترفع الأمم والشعوب إلى ذروة المجد العالية ولما كانت الأخلاق من الخطر بمكان عظيم، فقد قال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وقال من سعادة المرء حسن الخلق وقال لا عقل كالستدير ولا حسب كحسن الخلق وقال سوء الخلق ذنب لا يُغفر وسوء الظن خطيئة تفوح. وقال إن العبد ليبلغ من سوء الخلق أسفل درك جهنم، فهذه أحاديث نبوية داعية إلى حسن الأخلاق ومُنفرة عن قبيحها، وقد قال ابن لقمان لأبيه يا أبت أي الخصال من الإنسان خير، قال الدين، قال إذا كانت اثنتين قال الدين والمال، قال فإذا كانت ثلاثة قال الدين والمال والحياء، قال فإذا كانت أربعاً قال الدين والمال الحياء وحسن الخلق، قال فإذا كانت خمساً قال الدين والمال الحياء وحسن الخلق والسخاء، قال فإذا كانت ستاً قال يا بني إذا اجتمعت فيه الخمسة خصال فهو نقي وتقى والله ولي ومن الشيطان برى. وقال (الحسن) من ساء خلقه عذب نفسه

والدليل على أخلاق الرجل إذا قال صدق وإذا وعد أوفى بوعدده وإذا استدان من أحد من الناس وفي ما عليه من الدين ، وإذا أوعت عنده أمانة أداها إليك لا يصرف وقته إلا فيما يعود عليه بالنفع في الدنيا والآخرة، ولما كانت السعادة هي الأخلاق والعادات الفاضلة كان من الواجب على نحو وطني أن أدعو إليها في اثني عشر حديثًا مفصلة في كتابنا المسمى حديث العربان عن أخلاق وعادات أهالي السودان وأنى حبًا في النفع العام قد جعلته بلغ دارجة حتى أسوق به العوام إلى الفضيلة من حيث لا يشعرون، نسأل الله أن يوفقنا لما فيه الخير إنه سميع مجيب .

السودان

لا نريد بالسودان الإقليم الواسع الأرجاء المترامي الأطراف الذى يمتد من الصحراء الكبرى شمالاً إلى خط الاستواء جنوباً ومن المحيط الأطلسى غرباً إلى الحبشة والبحر الأحمر شرقاً الذى يعمه كلمة السودان متى أطلقت بل مرادانا الجزء الشرقى من الإقليم المذكور الذى يسمى بالسودان المصرى الإنجليزى الذى يُحد شمالاً بمصر عند خط الدرجة الثانية والعشرين من العرض الشمالى وشرقاً بالبحر الأحمر والأرتيرة وبلاد الحبشة وجنوباً بأوغندا والكنغو الحرة وغرباً بإفريقيا الاستوائية الفرنسية ووداى أو بعبارة أخرى السودان الشرقى العربى الذى يُحد بما تقدم هذا المكان الذى يقطنه قبائل كثيرة من العرب وغيرهم لا يمكن لمن يريد أن يتكلم عليهم من الوجهة الأخلاقية والعادية متتبعاً عادة كل قبيلة منها وصفاتها إلا إذا تكبد المشقات الجمة والرحلات الطويلة حتى يأتينا بكتاب جامع لأشتات الأخلاق والعداات لتلك البطون المتفرقة فى أرجاء وطئها ننظر فى طياته ما لتلك القبائل من محمود الصفات أو زميمها وهذا وإن كان ممكناً لكنه صعب ويكاد يكون متعذراً على كل أحد، ولما كانت عواصم البلاد ومدنها الكبرى هى المدرسة الأخلاقية لكل أمة وما سكان البوادي والقرى الصغرى إلا مقلدون لأهل الحضرة فى كثير من الأخلاق والعادات لأنك إذا نظرت إلى الرجل القروى أو البادى تجده إذا توفر عنده شىء من المال أخذ يتتبع أهالى لاحضر فى المأكل والمشرب واللباس وأدوات المنزل من فرش وغيرها والركائب المزينة إلى غير ذلك من لوازم الحياة المزخرفة رأينا التكلم على صفات أهالى المدن الكبرى يوصلنا إلى الإحاطة فى

تعداد كثير من أخلاقهم وعاداتهم أو يكاد يوصلنا إلى إبراز صورة حقيقية للأمة السودانية من الوجهة الأخلاقية ولا ندعى أننا قد تكلمنا على أخلاق وعادات الأفراد والجماعات جميعها بل ما أوردناه في هذا الكتاب ما وصل إليه علمنا وإن كان هناك كثير من الأخلاق. والعادات لم نذكره فمعدرة أيها القارئ الكريم لأن أبناء كل أمة مهما صرحوا لا يمكن أن يحدثوك عن جميع أخلاقهم وعاداتهم لأن الكتاب والأدباء والأخلاقين لهم قانون يسمى من باب اللياقة أن لا يقول الكاتب كذا أو يُصرح بكذا فلا نستطيع تخطيه ولكن الأفراد والأمم تعد راقية إذا كان لها من الميزات في أخلاقها وعاداتها كرم ودين وشجاعة وإقدام وعفة ووفاء وسخاء وعلم وحب للعمل في جميع مرافق الحياة أو بعبارة أخرى أن تكون حسناتهم أكثر من سيئاتهم لأن الكمال في جميع الصفات ليس من خصائص البشرية ويجب أن تكون جميع الأخلاق الفاضلة والعادات الكاملة عملية لكل فرد، وأما البكاء على الفضيلة بدموع التماسيح لا ينفع وإذا نظرنا إلى الأفراد وتتبعنا أعمالهم وأقوالهم نجد بعض سيئات ولكننا نجد إلى جنبها حسنات كثيرة لا تكون السيئات إلى تلك المحامد بشيء فمثل هؤلاء يعد اختياراً لقوله تعالى: «إن الحسنات يذهبن السيئات» كما أننا نجد كثيراً من الناس ربما قرءوا المجلدات الكبيرة من كتب الأخلاق ولكنهم لا يجيدون عن أخلاقهم التي شبوا عليها من الصغر وفعلهم للحسنات من فلتات الدهر فمثل هؤلاء يجب عليهم أن يعودوا أنفسهم عملياً على الأخلاق الفاضلة.

مقدمة

الواجب على كل فرد يعيش في مجتمع إنساني أن يمد إلى ذلك المجتمع يد المساعدة وهي في الحقيقة تعود بالنفع إليه إن آجلاً أو عاجلاً فكل إنسان يساعد بما يستطيع فالعالم واجبه تعليم الجاهل ما يحتاج إليه من الضروريات الدينية ولا يشد فرس الكبر ويلجمه بالأنفة ويسرجه بالرياء ويستوى على ظهره وينظر إلى الناس من ذلك العلو كأفراد الدواب التي لا يليق به التكلم معها بل يجب عليه مخالطة جميع طبقات الناس الذين تربطهم معه واجبات الحياة سواء كانت في المسرات أو المآثم أو غيرها وواجب التاجر ترك الغش في المبيعات والصانع واجبه إجادة كل شيء يصنعه فمن أخذ الأجرة حاسب الله بالعمل والزارع مهمته حرث الأرض وأرباب الأموال واجبهم استثمار أموالهم في المنافع التي تعود على وطنهم بالخيرات وبالإجمال كل أحد له عمل يجب عليه اتقائه ولنضرب إليك مثلاً فإذا وجد جماعة من الناس أحدهم تاجراً والآخر زارعا ورابعهم صانعا إلى آخر أرباب المهن والحرف ومن الضروري أن كل واحد منهم محتاج إلى الآخر، فإذا كان كل واحد يغش سواه فتصبح مجموعة غش فالتاجر يغشهم في البيع والصانع يغشهم في المصنوعات والمزارع يخلط الصنف الجيد بالردىء فإذا تكونت أمة من مثل هؤلاء الجماعة فقل لهم ابشروا بعدم البركة في أموالكم التي تجمعونها والعكس بالعكس إذا كان التاجر صادقاً والصانع يحاسب الله في صناعته إلى آخر ما تقدم من المثال فينقلب الحال إلى اليسر بعد العسر فإذا أخذ الإنسان نعلاً مثلاً وفع ثمنه وكان جيداً في صناعته فلا شك أنه يمكث معه زمناً طويلاً وإذا كان رديء بعد أيام قلائل يعود فيشتري نعلاً آخر ثم إذا أسعده الحظ يبلغه أى النعل الأول فيصبح

خاسراً ثمّن أحد النعلين ولما كانت الأخلاق هي منشأ هذا الغش بجميع أنواعه والعادات تابعة لها رأينا من الواجب علينا أن نبين كثيراً من الأخلاق القبيحة والعادات الضارة فألفنا كتابنا هذا وسميناه حديث العربان عن أخلاق وعادات أهالى السودان وجعلناه أحاديث وفصولاً أوردناها على لسان بعض العرب سكان البادية، فنسأل الله أن يوفقنا للمصواب إنه سميع مجيب .

كل إنسان يقطن المكان الذى تتوفر فيه أسباب راحته والحاجيات التى يكون طالباً لها فالعربى مثلاً يسكن البادية لما فيها من العشب الذى تأكله المواشى من بقر وغنم وإبل غادية فى أرجائها تسرح وتمرح تلتفت من أوراق الشجر ما تريد فإذا وجد إلى جنب مرعاها منبع ماء كانت الراحة أتم فما عليه إلا أن يتعهدها من الحيوانات المفترسة كالأسود والذئب وغيرها ويشرب ألبانها ويتنفع بوبرها وشعرها وما يتوالد منها وجرت عادات الأعراب أن يكون لكل قبيلة واد خاص بها ترعى فيه مواشيتها فلا تتعد إليه قبيلة أخرى ومن نظمهم المتبعة فيما بينهم أن يضرب كل واحد بيته المتخذ من الشعر بعيداً من الآخر خوف اختلاط الماشية إذا حضرت إلى (الفرقان) أى الحى فيكون من السهل أن يحتلب ماشيته الخاصة، أما فى المرعى فربما تختلط كلها فى واد واحد وعند إرادة فرز بعضها من بعض فهم أعلم بما يخص كل شخص وربما نادى أحدهم ماشيته فتأتى إليه فى أقرب وقت إذا كانت مع غيرها ومنهم من يسمى بعضها أى الماشية باسم فإذا أرادها نادها فتأتى إليه من بين (المراح) الراحة التى ذكرتها إليك تكون فى الزمن الذى يسوق الله فيه السحاب إلى البلدا الميتة فيحييها بعد موتها بالغيث المنهمر فتنبت الأرض الحشائش وتكتسى ببساط أخضر زينتة القدرة الإلهية بأنواع الزهور وطيبته بالروائح الذكية

وأخذت الأشجار بعد أن أصبحت أعواداً فى أنبات الأغصان فما هى إلا برهة من الزمان حتى تراها دوحات ظلال وارفة تغرد فى ظلال أفنانها الطيور ذات الأصوات الشجية المطربة ولا يحرم الإنسان إذا مر بها الظل الوارف الذى يقيه من حرارة الشمس، أما إذا قل الكلاً وامتنع المطر من السماء وأصبحت الأشجار أعواداً ففى ذلك الوقت يتعب الأعرابى فى باديته ويبعد شديد البعد من المدن والأنهار بعد أن كان قريباً منها يقرب وجهه، نحو السماء لعلها تجود بما جادت به بالأمس هذا بعض الشئ عن حياة الأعرابى فى البادية، وأما أخلاقه وعاداته وأكله وملبسه وغيرها سأذكره فى الفصول الآتية فيما بعد.

الحديث الأول عن البادية

حدثنا عباد قال كنا من فتيان إحدى القبائل العربية السودانية التى اتخذت معاشها من تربية الماشية من إبل وبقر وأغنام تسرحها فى الأودية المكسوة بالأعشاب والحشائش المحاطة بالغابات الكثيفة واتخذت من أصوافها وشعرها ووبرها بيوتا تأوى إليها من غارس البرد وشديد الحر خفيفة تحملها حين ترحالها من واد إلى واد على ظهور المطايا وكان أحدنا يسمى حاتماً والثانى عباداً والثالث علياً ولكل منا ماشية خاصة به يعتنى بشأنها فتمت وزادت حتى أصبحنا من أرباب الثروة الطائلة بين أفراد تلك القبيلة وكنا نذهب نحن الثلاثة فى كل عام إلى إحدى المدن لنبيع بعض ماشيتنا ونشترى ما نحتاج إليه من قماش وخلافه، وفى أثناء إقامتنا فى الحضر ننظر يميناً وشمالاً فلا نرى إلا كل شئ حسن وأن حياة أهالى المدن المعيشية على شئ كثير من المسرات فتحدث فى نفوسنا تأثيراً عظيماً نتمنى لو نكون من سكان الحضر ولكن سرعان ما تنقضى هذه الأيام فنضطر إلى العودة إلى البادية وليس لنا حديث فى أثناء الرجوع إلا ما شاهدناه فى تلك البلدة التى قدمنا

منها ولما كانت غاية البدوى إذا تيسر حاله وعظمت أمواله أن تشتاق نفسه إلى سكن الحضر والإقامة فيها اشتاقت نفوسنا إلى هذا الأمر وأصبحت الفكرة شغلنا الشاغل لكننا كنا مترددين حتى فى آخر الأمر قرأنا على أن نهجر البادية ونقطن إحدى المدن وما كان منا إلا أننا حددنا يوماً لسفرنا إلى المدينة لنصرف ما نملكه من الماشية ونتخذها سكناً وموطناً ويختار كل منا عملاً من الأعمال ومرت الأيام سراعاً وجاء اليوم المحدود وكنا قد أعددنا جميع ما نحتاج إليه فى السفر من الزاد (كالعطينة) وهى نوع من الدخن المخلوط بالتمر والماء، كما أننا حملنا شيئاً من التمر اليابس واللبن الذى نحلبه من الماشية فى أثناء الطريق يكون مفيداً لنا وكافياً عن حمل شئ من الزاد كما أن كل واحد منا تقلد سيفاً وحمل حرايه وأنا بالأخص كان عندى علاوة ذلك (كوكاب) أو بعبارة أخرى (شقى شقى) وكنا أخبرنا الرعاة الذين يقومون بأمر الماشية فى الوادى ليجمعوها فى الصباح الباكر لأننا نريد السفر قبل طلوع الشمس حتى إذا ارتفعت وحر النهار حططنا رحالنا فى ظلال إحدى الشجر لترتاح ثم نستأنف السفر بعد العصر إلى نصف الليل وهكذا حتى نبلغ المدينة التى نقصدها وفعلاً جمع الرعاة الماشية وساقوها أمامنا لأن سيرها بطيء وبعد قليل من الزمن نلحقها وما هى إلا فترات من الوقت حتى ودعنا أهلنا وذوى قرباتنا من نساء ورجال واقتفينا أثر الرعاة حتى لحقنا بهم وسرنا جميعاً إلى أن وصل إلى وادٍ كثير الأعشاب والأشجار وكان حينئذ قد انتصف النهار واشتدت حرارة الشمس فحططنا رحالنا تحت دوحة عظيمة وارفة الظل وبعد ما ارتحنا قليلاً أخذت النساء فى إعداد الطعام وبعد تناوله نام كل منا برهة من الزمن ثم انتبهنا من نومنا وكان وقت العصر قد جاء فما كان منا إلا أن شددنا رحالنا وابتدأنا فى السير إلى منتصف الليل تقريباً فوصلنا إلى ربوة عالية فأمرنا الرعاة بجمع الماشية فى مكان واحد خوفاً من السباع والذئاب وقلنا لهم

اجمعوا حطباً وأوقدوا ناراً لأن السباع إذا رأت لهيب النار هربت منها وفى أقرب وقت فعلوا كل ما أمرناهم به وأحاطوا بالماشية، وبعد ما تعشوا بحليب اللبن وارتاحوا قليلاً أخذ كل واحد منهم يغنى بما يروغ له من الغناء كما أننا أخذنا نتجاذب أطراف الحديث فى أمور شتى، حتى إذا طلع الفجر قام كل منا وأدى صلاة الصبح وأخذ الرعاة فى إرضاع صغار الماشية ولما فرغوا من هذا الأمر تركوها ترعى كما أمرنا النساء بإعداد الشاى وبعد شربه أخذنا فى التأهب للرحيل تقدمنا الماشية يحثها الرعاة على السير حتى إذا مررنا بجوار إحدى الغابات الكثيفة سمعنا زئير الأسود وعوى الذئاب ولكننا لم نعرها اهتماماً كثيراً لأننا ألفنا هذه الأصوات فى الصغر كما أن هذه الوحوش كثيراً ما تخاف من الأعراب الرعاة لأهم لا يخافون منها بل قد تهرب منهم وقد استمر بنا السير على الترتيب المتقدم حتى كان فى آخر يوم من أيام السفر وصلنا إلى واد كثير الأعشاب فرأينا فيه بعض الرعاة ولما سألناهم تبين لنا أنهم من الأشخاص الذين يقومون برعاية أغنام أهل المدينة التى نقصدها فاطمئنت نفوسنا لهذا الخبر لأننا وصلنا إلى قرب المكان الذى نريده وبعد نزولنا فى هذا الوادى تفاوضنا فى أمر الماشية هل أحسن نتركها فى هذا المكان مع الرعاة ونذهب نحن إلى القرية أم نسوقها معنا ثم استقر الرأى على الأمر الأول وفعلاً ذهبنا إلى المدينة وبعد وصولنا إلى (المنزلة) وهى بيت شيخ العرب لأن كل قبيلة من العربان لهم شيخ ينزلون عنده ليقضوا مصالحهم بواسطته من بيع أغنام وشراء ما يحتاجون من الحاجيات وبناء على هذا الرأى توجهنا إلى المدينة وبعد مسير عدة ساعات أشرفنا على البلدة وأخذنا نقترب منها قليلاً قليلاً حتى وصلنا إلى طرف القرية وجرت العادة أن مشايخ العربان يجعلون منازلهم طرف المدينة لراحة أرباب الماشية الذين يقصدونهم بين آونة وأخرى وعلى سبيل المصادفة قابلنا الشيخ المذكور فى أثناء الطريق ونحن سائرون إلى

داره فلما رأنا من بعد أقبل علينا قائلاً (خبابكم عشرة حمد الله على السلامة كيف حالكم الأهل طيبين لبقيرات الغنيمات) إلى آخر سلام العربان الطويل العريض وبعد الفراغ من السلام توجهنا إلى نحو البيت وعند الوصول برّكنا الجمال وأرلنا النساء من على ظهورها، أما النساء فدخلن إلى بيت شيخ الرب مع نسائه، وأما نحن فلإننا نزلنا في بيت الرجال الخارجي المعد للضيفان وما كدنا نأخذ مكان جلوسنا حتى رأينا الشيخ أمر بذبح خروف) وفي الحال قد ذبح وما هي إلا فترة من الزمان حتى جاءتنا (القداحة مليانة باللحم وإلى جنبها العصيدة) وشرعنا في الأكل وكان أكلنا بشهية لأننا لنا مدة لم ندغ طعاماً هنيئاً وبعد أن تناول كل منا قدرًا وافرًا من الطعام أتى إلينا (ببراد شاي) كبير في حجمه فأخذنا نشرب حتى (سال منا العرق) وفي أثناء الأكل ولشرب يسألنا شيخ العرب عن أحوال القبيلة واحدًا بعد واحد لأن هؤلاء الأعراب تجدهم يحفظون أحوال قبائلهم جميعًا فإذا قابل أحدهم الآخر يسأله عن الصغير والكبير وأحوال الماشية ومراعيها إلى آخر ما يجول بخاطره من الأمور ثم أننا أخذنا راحتنا في ضيافة شيخ العرب حتى زال منا تعب السفر ولما تحققتنا من نشاطنا وأن وعشاء السفر قد زالت فكرنا في أمر الماشية وبيعها فرأينا مشورة شيخ العرب في هذا الأمر أحسن وفعلاً فالتحناه في الأمر الأنف الذكر فقال لنا من صواب الرأي عندي أنكم تتركون الماشية في مكانها ثم في كل يوم تأتون بجزء منها إلى السوق لأنكم إذا عرضتوها مرة واحدة لا تأتي لكم بضمن حسن وما كان منا إلا أن عملنا بهذا الرأي لأنه في صالحنا وفي الوقت أدركنا أن المشورة إذا كانت من خبير في أمر من الأمور تكون مفيدة للمستشير وأخيراً اتفقنا فيما بيننا أن أكون أنا البادئ ببيع ماشيتي في الصباح الباكر إن شاء الله وإلى هنا تم الحديث الأول ويليهِ الحديث الثاني.

الحديث الثانى عن سوق المشية

حدثنا عباد قال تقدم لك فى الحديث الأول أننا اتفقنا على أن أكون أنا أول من يعرض أغنامه للبيع وعملا بهذا الاتفاق انتبهت قبيل الفجر بقليل وبعد صلاة الصبح مباشرة شددت جملى وما كدت أن أضع رجلى على (المخلوفة) حتى استقل قائما ولما تجاوزت القرية أخذ الجملى (يكربت) ثم أطلقت له (الرسن) فإذا هو يجرى سريعا بخطى واسطة لأنه كان من كرام الإبل ولا أطيل عليك الحديث بعد قليل من الزمن وصلت الوادى الذى به المشية وبعد وصولى أمرت الراعى فرز جملة من الخرفان وبعد فرزها ساقها الراعى أمامى إلى القرية ولما وصلنا كانت حرارة الشمس قد اشتدت واستحسننا أن نذهب إلى سوق المشية فى صباح الغد ولما جاء الصباح توجهت بها إلى المكان المذكور وما كادت تطأ قدمى فى هذا المكان حتى رأيت ستاً من (الصبيان سبابة) المشية وبغير سلام وكلام دخلوا (مراح) المشية وعلم كل واحد منهم خروفاً بعلامة مخصوصة إشارة إلى أن غيره من السبابة لا يتعرض إلى ما علمه ولما رأيت ازدحامهم على السعية قلت فى نفسى يا ليت لو أتيت بجميع الخرفان لأن السوق الظاهر عليها الرواج ولكن سرعان ما تبددت هذه الآمال وانفضوا هؤلاء من حولى كما فعل غيرهم مثل فعلهم وأنا واقف أنظر إليهم لأننى بكثرة ترددى إلى هذا المكان فى ما سبق عرفت كثيراً من أفعال هؤلاء فى البيع والشراء وكانت (الوطا باردة فى أول الصبح) وقلت فى نفسى يمكن أن يساعدنى الحظ وأتمكن من بيع ماشيتى من أول النهار ولكن قد تبددت آمالى وانتظرت كثيراً فلم يأت أحد من هؤلاء السبابة ولما ارتفعت الشمس وكادت تتعامد على الرؤوس أقبل على أحد من الناس وكان من تلكم السبابة الذين تقدم ذكرهم وقال لى (كيف حالك يا شيخ العرب شن سموك) فقلت له عباد فقال لى (جاد الاسم باين عليك صباح خير بتشوف الخيريف

أب أضيئات داك بريال كبير) فقلت له يفتح الله فقال لى بيع أخير لك أول
بيعة من ذهب فقلت له يستر الله فتركنى وذهب إلى حال سبيله وبعد شوية
أتانى سبابى آخر ونظر إلى الخرفان ولما رأى العلامة فى واحد منها قال لى يا
عربى صل على النبى فقلت له اللهم صل عليك يا حبيب الله فقال لى
بتشوف الكبش أبو قرينات داك بريال ونص كبير فقلت له (الله يحزن عليك يا
صباح الخير بتلاتة ريال مانبايع) فذهب من حيث أتى، ثم جاء ثالث منهم
فقال لى كيف حالك يا شيخ العرب اسم الكريم فقلت له عباد فقال لى
الحميل الأبرق القدامى ذلك بتشوفه بريال إلا ربع مع العلم الخروف الذى
يعنيه بالحميل أكبر خروف فى ماشيتى فقلت له الله يفتح عليك فذهب وأتانى
رابع من هؤلاء السبابة فقال لى ما تبيع الخرفان أخير لك فلم أرد عليه بكلمة
ثم بعد ذهاب هذا الأخير رأيت السبابة الستة إياهم اجتمعوا فى مكان واحد
وتفاوضوا همساً فى ما بينهم وينظرون إلى مرة بعد أخرى ثم قصدوا نحوى
كلهم فلما وصلوا أحاطوا بى إحاطة السوار بالمعصم حتى إنى توسمت فى
وجوههم الشر وأوجست منهم خيفة وكان ما ظننا لأنى بكثرة ترددى إلى هذا
المحل فيما سبق عرفت إن العربى لما يكون رأسه قوى لهم فى كيفية الشراء
منه طريقة سأذكرها لك فى المبايعه الآتية وقفوا حولى السبابة الذين تقدم
ذكرهم فمد الأول يده وأشار إلى الخرفان اللاتى سبق أن فصلوا فيهم بأسعار
لم توافق معى وقال الحملان ديك بتشوفن فى ريالين ونص كبير راكب بعض
مع العلم أن الخراف اللاتى يسميهم بالحملان أكبر خرف الماشية فقلت له يفتح
الله فقال الثانى بيع ما يربط رأسك أخير لك تبيع ولما لما أسمح لهم بهذا
الثمن شدنى الثالث من دقتى وقال لى العربى مطرطش ولا شنو وجبذنى
الرابع من الثوب وقال انقطع ضكرك امسك الفلوس والخامس لكرنى فى
صدرى وقال لى بالتقطس حجرك والسادس فتح يدى ووضع فيها الفلوس

وكلهم صاحوا بصوت واحد باع باع فمن يسمع يظن أنى بعته ولكن لم أبيع
وعلى كل حال حصلت المبايعة سواء طوعاً أو كرهاً فلما رأيت نفسى بين
نارين حرارة الشمس من جهة وهذا العذاب الأليم من جهة أخرى زد على
ذلك السب والشتمة والنبد لا خوفاً من الله ولا حياءً من الناس قبضت
الفلوس وكررت عدها مراراً خوفاً من نقصانها لأن هؤلاء ربما عدوا لك الريال
ريالين وكان عندى (قفل) مربوط بسير فى رقبتي احترازاً من هؤلاء الشياطين
واستمر البيع والشراء على هذه الكيفية حتى بعته جميع الخرفان ثم توجهت
إلى بيت شيخ العرب وأنا فى غاية التعب من لكز هؤلاء وضربهم وفى كل
يوم من الأيام نأتى بجزء من الماشية ونصرفها ولما انتهت من بيع ماشيتى
شرعت أساعد رفقائى فى بيع ماشيتهم ولكن تمرنا على هذا السب والشتم
واللكز والضرب فهان علينا بعض التعب حتى انتهينا من بيعها فحمدنا الله
على خلاصنا من هؤلاء الشياطين ثم إننا جلسنا فى بيت الشيخ عدة أيام ارتحنا
من عناء المبايعة الذى وصفته لك فى ما تقدم وفى الأيام التى كنت أتردد فيها
على سوق الماشية كنت أرى كثيراً من الناس يأتون بالحمير فمنهم من يبيع
ومنهم من يشتري وكان لى حمار كنت فى البادية أحتطب عليه وأحمل عليه
القرب وكان هذا الحمار أكرمك الله له شبه بحمير أهل الحضرة التى تصلح
للكوب فقلت فى نفسى أنا الآن لست فى حاجة إلى هذا الأتان فمن
الصواب بيعه والانتفاع بثمنه وبناء على هذا رأى شاورت شيخ العرب فى
بيع الحمار فقال عندى رجل صديق من المتسبيين فى بيع الحمير يمكن أن
يحضر إلينا اليوم أو فى الغد لأنه دائماً يتردد علينا وفى صباح الغد جاء
الرجل على حسب عادته ونظر إلى الحمار وفتحنا فى مسألة الثمن وأخيراً
اتفقنا على عشرة ريال كبير فدفع نصف هذا المبلغ وقال لى فى الصباح الباكر
تحضر إلى فى أماكن بيع الماشية أعطيك باقى المبلغ وكان شيخ العرب حاضراً

يسمع كل ما ذكر فقال لى لا تخف الرجل مأمون وفى الصباح تذهب إليه يدفع لك الباقي ولما جاء الصباح توجهت إلى مكان سوق الماشية ولم أجد الرجل وبعد قليل من الزمن جاء الرجل المذكور راكباً على حمار أعجبت منه كثيراً فقلت فى نفسى ما أجمل هذا الحمار فلما رأى تعجبى قال لى مالى أراك متعجباً من هذا الأتان أليس هو حمارك الذى بعته إلى بالأمس قلت له كيف صار بهذا الشكل فقال لى لما ذهبت منكم أتيت بقصاص فقصاه ثم ربطته عندى فى البيت وأسكرته بالمريسة ونحن فى كلامنا هذا رأيت رجلاً مقبلاً علينا ويظهر أنه قروى وليس من أهل الحضر وقبل وصوله أخرج سبابى الحمير من جيبه (حقه) أخذ منها (سقة) ورفع رأسه إلى السماء وقال يا رب من حلالك وحرامك وما كاد يخلص من هذا الدعاء إلا والرجل قد وصل إلينا وأخذ يحوم حول الحمار ثم قال لصاحبه كم (ادوك فيك) فقال له اتكلم البيع أرزاقاً أمدح الرسول فقال المشتري (رأس ماله عليك كم كلمنى بالصدقة وأنا أعشيك) فقال السبابى ماك طالبنى حليفة لكن على بالحرام من بيتى وطلقانة مرتى بالثلاثة راس ماله على خمسة عشرة ريالاً كبيراً بدون حق قصه وعشاه فقال الأعرابى المشتري غالى بلحيل فقال السبابى (ما قلنا ليكم ما بتصدقوا الأمانة قلت) شوف خشب الحمار وصدرة كيف واسع ولس سنون اللبن ما كسرن كان ليك رزق الحمار ما يفوتك وحرمانات على نسوان الدنيا والآخرة الحمار البتشفوف ده جاى من (دنقلة) أمبارح فلما رأيت هذه الحالة والإيمان بالله والطلاق والحرام قمت وقعدت من هول ما أصابنى بل أصابنى ذهول شديد من هذه الأقسام الكاذبة التى لو وقع واحد منها أصبح الرجل مع زوجته بدون عصمة شرعية وحدثنى نفسى أن أنصح هذا الرجل وأقول له اتقى الله وحرام عليك كيف تحلف بالله والطلاق والحرام كذباً وزوراً ألا تخشى من مولاك يمكن يقع عليك الطلاق فتقع مع زوجتك بالحرام ولكن

رجعت وفكرت وقلت لو نصحتة وأفسدت عليه البيعة ربما ينقض على ضربا ولكما ويقول لى مالك تتكلم فيما لا يعينك وإذا كان السبابة الذين بيعت لهم الخرفان قد حصل منهم السب والشتم بل الضرب فليس بعجيب أن يحصل من رجل مهنته تأديب الحمير ولا تفرغ يده من (مُطرق خضره أو عصاية خيزران) وما كدت أفرغ من هذا الحديث النفسى إلا وكان السبابة قد انتهى من البيعة (ورمى راس العربى) وصدقه بأن رأس مال الحمار خمسة عشرة ريالاً واتفقا على أن يعطيه ريال ونصف أرباح وقبل أن يدفع العربى ثمن الحمار أمر السبابة بأن يركبه حتى يرى مشى الحمار وما كاد يركب عليه حتى جرى به جريا ما عهدته به وأظن هذا الجرى من الخمرة التى أسقاها إياه زد على ذلك الخبرة الواسعة لهؤلاء فى ركوب الدواب ورب كان لأحدهم مهماز فى نعله يحرك به ما سكن من شعور الحمار أضف إلى ذلك (المريسة بنت العيش) التى تترك الإنسان يمشى على غير هدى فما بالك بالحيوان الأعجم فلما رأى العربى المشتري هذا العدو السريع أعجب به وفى الحال نقده الريالات واستلم الحمار وخرج من السوق كما أنى استلمت باقى ثمن الحمار وفى أثناء تعداد الريالات نظر فى وجهى وأظنه عرف إنكارى وبغضى لخلفه بالله كذبا وزورا وبالطلاق فسقا وفجورا فقال لى إن الله غفور رحيم فقلت له على الفور إنه لشديد العقاب وخرجت على أثر ذلك إلى (المنزلة) وهى بيت شيخ العرب وبعد أيام عديدة وأأ أتجول فى سوق البلدة وجدت الرجل الذى اشتري الحمار من السبابة راكباً الحمار الذى كنت أملكه فيما سبق ويقدر ما أوسع ضربا فالحمار يرفع رجلا ويضع أخرى وفى بعض الأوقات (يترلى ورى) والرجل يكاد يتميز من الغيظ والغضب ولكن ما ذنب الحمار وقد ذهبته منه السكره وجاءت حالته الطبيعية فلما رأيت الرجل بهذه الحالة تقدمت إليه وقلت له لا تتعب نفسك فهذا الحمار كان لى وكنت أحمل عليه

الخطب وهذا سيره من يوم ولدته أمه ولكن كيف كان يُسابق الريح عند ذلك الرجل فهذا قليلاً من الغضب وأدرك ما فى الأمر وأن السبابى قد غشاه وكان الوقت قدحان لتناول الغذاء فذهبت إلى المنزل وأنا أتعجب من ما رأيت ويمكن ترى الأيام ما هو أعجب وإلى هنا تم الحديث الثانى ويليهِ الحديث الثالث عن البيع والشراء.

الحديث الثالث عن البيع والشراء

حدثنا عباد قال فى أثناء إقامتنا ببيت شيخ العرب كنا نخرج بين آونة وأخرى لتتجول فى سوق القرية وشوارعها فترى البعد شائعاً بين ثيابنا وثياب أهل الحاضرة فما يرتدونه من الثياب أبيض جميل أما هدمونا فهى محمرة من الدهن) ولا نكاد نجتمع فى محل لتجارتهم أو صناعتهم إلا يزدرون منا ويضحكون فنجد فى نفوسنا من هذا التحقير نقصاً وما أظنه إلا من هذه الثياب لأن أهالى هذا الزمن لا يحترمون إلا من تقمش ولا يحتفلون بشيء آخر بل قيمة الإنسان عندهم ما يرتديه من الثياب فإذا وجب علينا أن نتزى بذئهم حتى نكف هذا الازدراء والسخرية عنا فأخبرنا شيخ العرب بأننا نريد أن نشترى لنا قماشاً فقال إن شاء الله فى صباح الغد ستوجه جميعاً إلى تاجر الفاتورة لنشترى لكم جميع الحاجيات التى ترغبون فيها ولما جاء الصباح حضر إلينا رجل يظهر على هيئته أنه من السماسرة) وبعد السلام جلس وكان أمامنا شىء من القهوة قدمناه إليه ولما استقر به المجلس أخذ يتكلم مع شيخ العرب وبعد أن كان الكلام بصوت عالى صار همساً ثم قام الشيخ ودخل إلى بيت الحريم ولما خرج قال لنا عندى قرض ولا يمكن أن أذهب معكم إلى السوق وفلان القدامكم يعنى السمسار له خبرة بشراء الهدوم فألا حسن أن تذهبوا معه فلما سمعت ما قال داخلنى الشك فى أمر شيخ العرب بسبب عدوله عن التوجه معنا إلى تاجر القماش ولكن علمت بعد ذلك أن هؤلاء السماسرة إن

لم يكونوا شركاء لمشايخ العربان فلا يبعد أن يهدوا إليهم شيئاً من الهداية أو
 بعبارة أخرى لا يكون بعيداً أن يسمح للشيخ (شبهه) ولكن كلام الشيخ مسموع
 حملنا معنا (في كمراتنا) ما نظنه كافياً من الريالات وتوجهنا إلى تاجر
 القماش وعند وصولنا إلى (دكانه) قابلنا بكل ترحاب وأهلاً وسهلاً بمشايخ
 العزب وأجلسنا على كراسي كانت موجودة في الدكان وفي الحال كورك يا
 ولد براد شاي) ولما أحضر الولد الشاي أرسله (جاء لنا رغيفاً وتمرًا) وشرعنا
 في الأكل وشرب الشاي وأخذ السمسار يقول للتاجر جيب لنا التوب الفلاني
 والفركة الفلانية ولما يأتي التاجر بالأشياء المذكورة يعرضها علينا ويقول ثمنها
 كذا فيقول له السمسار (بلحيل غالى الثمن يا شيخ فلان كارم شيوخ العرب
 شوية) فتجد التاجر ينقص في بعض الأشياء ريالاً وفي بعضها نصف ريال
 فنظن أن السمسار في معونتنا وفي الواقع أنه مع التاجر على اتفاق تام فهو
 يعرف أن الصنف الفلاني ثمنه كذا، كما أن التاجر يمك من فوق وإذا طلب
 منه النقص تنازل عن شيء قليل لأجل إكرام شيوخ العرب ومن بساطة عقولنا
 نظن أن الشاي والتمر والرغيف الذي يقدمه لنا التاجر من جيبه الخاص إكراماً
 لنا ولكن لم نفكر أنه من جيوبنا وهل هناك تاجر يفتح محلاً ليكون (خلوة)
 للضيفان كل ذلك لم يخطر ببالي إلا بعد أن مكثت في المدينة عدة شهور
 عرفنا في خلالها كثيراً من الحيل والمكر وأن الناس أصبحوا لا يفرقون بين
 طرق الحلال والاحرام من الحيل والمكر وأن الناس أصبحوا لا يفرقون بين طرق
 الحلال والاحرام بل يتعمدون الغش والخديعة والمكر والدهاء في البيع والشراء
 كأن الإنسان ليس له دين ينهأه عن هذه المحرمات ولا أطيل عليك حديثي
 اشتري كل ما الهدوم التي تلزمه وكان مرشدنا في الشراء السمسار وبعد أن
 حللنا الكمرات وأعدنا للتاجر الريالات ذهبنا بعد ذلك إلى الخياط فاستلم منا
 القماش وأتعبنا بالمشاوير وأخيراً بعد خلاص الثياب وجدناها قصيرة فلا ندرى
 ما السبب وإلى هنا تم الحديث الثالث ويليه الحديث الرابع عن السرماطي .

الحديث الرابع عن السرماطى

حدثنا على قال قد سمعت أبيها القارئ عن أخى عباد ثلاثة أحاديث الأول عن البادية والثانى عن سوق الماشية والثالث عن البيع والشراء وأما هذا الحديث الرابع فهو عنى لأننا لما لبسنا ثياب أهالى المدن وخلعنا هدوم البادية الرثة رأينا ما بأرجلنا من النعال التى نسميها (الشبظ) غير مناسبة مع هذه الهيئة الحضرية فقصدت إلى سوق المراكيب لأجل أن أشتري لى نعلا ولما وصلت هذا المكان وقفت أمام (دكان السبابة) الذين يبيعونها وقلبت كثيراً من المراكيب فلم يعجبني واحد منها وكان على سبيل المصادفة يوجد أحد (الأسطوات) الذين يشتغلون هذه المراكيب فقال لى يا شيخ العرب الأحسن تتفق معى لأعمل لك (مركوبا وصاية) قلت لا مانع وبعد أخذ ورد فى ثمن المركوب اتفقنا على عشرين قرشاً نصفها (مقدم) والنصف الآخر بعد (جهاز) المداس وفعلا دفعت له المقدم ووصف لى العنوان وهو كالأتى الشيخ فلان السرماطى بالحلة الفلانية بالشارع الفلانى (تجد دكيكين صغير) تسأل صاحبه يقول لك [أهو داك] وافترقنا على أن أذهب له فى الصباح وبناءً على هذا الوعد توجهت إلى الطريق الفلانى والذقاق الفلانى إلى أن وجدت الدكان المذكور ومنه إلى بيت الأسطى وبعد دقائق وإذا أنا واقف أمام الحوش الذى به صاحبي فطرقتة وبعد قليل جاءنى ولد صغير فقال لى [بدور - منو] فقلت له (بدور الأسى فلان) فقال لى اتفضل فى موجود وتقدم أمامى ودخلت أنا فى أثره وبعد أن مشينا عدة خطوات وقفت أمام (ديوان) بابه يفتح إلى الشرق وما كاد نظرى يقع على الأسطى حتى قام من كرسيه ومد يده إلىّ وبعد السلام عليكم ورحمة الله وكيف حالك وطيبين جلست على (بنبر) قدمه لى (صبي الدكان) وفى الحال يا ولد شاي (مضبوط) لشيخ العرب فخرج الولد وبعد قليل جاء الشاي وقدم إلى كباية كما قدم إلى غيرى من الحاضرين وفى أثناء

شربى للشاي التفت يمينا ويسارا وأنا فى غاية العجب من هذه الصناعة لأنى فى حياتى لم أر هيئة من الإسكافية تشتغل فى مكان واحد وبعد أن شربت الشاي مددت رجلى إلى الأسطى فأخذ مقاسها وقال لى إن شاء الله بعد يومين تجى تلقى (المركوب جاهز) وعلى هذا الوعد خرجت إلى مقر إقامتى ومضى اليومان وجاء الوعد المضروب بينى وبين الأسطى الذى أظنه يوفى بوعده فأجد المركوب جاهزا ولكن ذهبت فلم أجِد النعل قد عمل ومحل العمل خالى من الجلود وغيرها من الأشياء التى من العادة تكون موجودة فى محلات السرامطية فداخلى الشك وقلت فى نفسى (الدهان نصاب ولا شنو) ولما نظر إلى عرف أنى شككت فى أمره ومن البديهي أن يلتمس له عذرا لأن الإنسان إن أراد عمل مركوب عند سرامطى أو حذاء عند جزمجى يجب عليه أن يذهب إليه ألف (مشوار - ومشوار) وأخيرا يترك له (العربون) والسلام فقال لى (اقعد الواطا فيها الرحمان أمسك الجابرة الدنيا ما فيها خير وحياتك وأفدك من طعنة الشوكة يومة فوتك يجينا خبار أخويا لينا توفى إلى رحمة الله وده جيه قدامك فلما سمعت هذا الكلام لم أطالبه بشيء لأن الرجل على زعمه كان فى بيت البكاء وفى أثناء جلوسى أتى رجل يظهر عليه أنه من تجار المراكيب وبعد السلام والرحمة والبركة قعد وأخذ يتكلم مع الأسطى فى مسألة عمل شغل (كورجة مراكيب) واتفقا الأسطى والتاجر على أن الوعد لا يتجاوز أربعة أيام لأن هذه المراكيب مبيوعة إلى رجل مسافر وإذا لم تخلص فى الميعاد المعلوم يمكن يرفضها ويضر بصالحه ضررا شديدا ثم قال التاجر يا أسطى فلان (أنا عارف مواعيدك كلها كضابطة) لكن هذا الوعد أمل أن يكون صادقا فحلف الأسطى (بالطلاق والحرام) إنه سيفى بهذا الوعد (وشال الفاتحة) على ذلك وبناء على هذه الأيمان الغليظة دفع الرجل تاجر المراكيب ثمن الكورجة جميعه ثم خرج إلى حال سبيله وبعد خروج التاجر جاء سبابى من

تجار الجلود فلما رآه الأسطى حصل له انقباض وما كاد يجلس حتى أخذ يتكلم (يا أسطى فلان ربنا ما هون على القرشين العندك) فقال الأسطى يا شيخ فلان العارف لا يعرف الشغل بطلال الصناعية شايفهم قاعدين ساكت أديناكم جلد نمشى بهم الدكان ونخلصك شىء فى شىء وبارك الله فيمن نفع واستنفع وإياك بركتنا ويمين المسلمين حج وعتيق حثك يجيك فى محلك فلما سمع السبابى كلام الأسطى (أضانة رقصت) وظن هذه الوعود حقاً ستكون صادقة ولكن بدل أن يخلص أضاف إلى السدين القديم ديناً جديداً وفى الحال عرف الأسطى التاجر بأن الجلود التى تلزم عدد عشرين جوزاً من النعلات نصفها عرايسى والنصف الآخر رجالي وعدد ثلاثة جلود سختيان وعدد خمسة جلود حور وما هى إلا ساعة من الزمان إلا والجلود قد حضرت إلى الدكان فلما رآها الأسطى تهلل وجهه فرحاً وسروراً وكيف لا يفرح وقد قبض ثمن كورجة المراكيب وأتت إليه هذه الجلود بدون ثمن لأنه ينوى من صميم قلبه أن لا يدفع إلى واحد منهما شيئاً ولكن بقى شىء يلزم لإتمام العمل وهو (سداية من خيط الغزل) فأمر صبي الدكان وهو ولد صغير عمره لا يتجاوز الاثنى عشرة سنة وقال له امشى إلى عمتهك فلانة ست الغزل وقول لها الأسطى يقول ليك جيبي معاك سداية سمحة وفعلاً خرج الصبي وما كاد يخرج من باب الدكان إلا وأخذ يترنم بهذه الغنوة:

ضاع صبرى أين يا وصلى قلبى بنار الغرام مصلى
 ما سليتك وأنت كيف تسلى صرت ميت والدموع غسلى

ولا تعجب من ترنم مثل هذا الصبي بالغرام فيكفى أنه سرماطى فحسب فلما ذهب الولد أخذ الأسطى يوزع الجلود الموجودة فى الدكان على الصناعية ليقوم كل واحد بعمله وأخذ المحل يعيد الحياة العملية بعد أن نام عدة أيام

بسبب سوء معاملة الأسطى لمثل تجار الجلود وسبابة المراكيب وبعد ذلك سمعت (كشكشة مراكيب) وأظن أن هذه الحركة هي ست الغزل وكان ظنى فى محله ولما رفعت بصرى رأيت امرأة كبارية تحمل عدة سدايات من الغزل وما كادت قدمها تتطأ العتبة حتى بادرها الأسطى بقوله كيف حالك يا عمتى فلانة ثم تناول منها الخيط وشرع يقلبه فأخذ ما رآه يصلح من سدايات الخيط ثم أخذ يفاصلها فى الثمن حتى اتفقا عليه لكن لم يدفع لها شيئاً وقال لها باكر العصر أديك الفلوس وعلى هذا الوعد خرجت صاحبة الغزل كما أنى خرجت على أن أحضر باكر لعصر لأجل استلام المركوب الذى سبق أن دفعت عربونه ولما جاء الغد ذهبت قبل الميعاد لآنى خفت ربما يخلص المركوب ويبيع ولا يكون لى حجة على هذا الأسطى الماكر ولكن عند وصولى والسلام وعليكم السلام نظرت إلى محل الأسطى ولم أشك فى عدم خلاص المركوب لآنى رأيت رأسه مربوطاً والظاهر عليه أنه متمارض ولما سألته قال لى إلى الآن لم يخلص فقلت له ما السبب فقال لى امبارح فوتك وقعت من الكرسي لا (أجر إيد ولا كراخ) والآن الحمد لله أحسن شوية وشرعنا فى الشغل الآن لأن الألقى وهو نائب الأسطى فى تفصيل الأشغال له كم يوم لم يحضر وفى أثناء كلامنا وإذا بأذان العصر يقول الله أكبر وما كاد يتم الأذان إلا وست الغزل قد حضرت وبعد أن استقر بها المكان شرع الأسطى يحكى عليها قصة المرض وزاد عليها أنه لولا المرض لذهب إلى صاحب هذا الشغل وأحضر منه الفلوس فلم يسع المرأة إلا الذهاب من حيث أتت ولما ذهبت المرأة وانكشفت هذه الغمة عن الأسطى أخذ يسألنى فى مواضيع شتى وأخذت أنا أسأله عن أدوات الصناعة وهو يعرفنى عن جميعها واحدة بعد واحدة وهذه أسماؤها وهى (القرمة والكازم والأشفة والإبرة والماجور) وغير ذلك من أسماء الأدوات

التى لم أتذكر اسمها الآن وأأ فى أثناء جلوسى أسمع صناعى الرفيع يقول
يسطى الفرد ده كاخها واطى خالص عاوز سنده خفيفة فيقول الأسطى ارفعه
شوية وبعد شوية يقول الألفى وهو نائب الأسطى ويقوم مقامه فى توضيب
الشغل يسطى البشتق ده ضيق والقالب دن تخين يمكن يشرط الفردة فيقول له
الأسطى اعمل حسابك بالراحة اوعى تكون (الدانزاية بايته معاك) ثم يقول
صناعى النعلات الفردة ده مش راضية نتخدم لا من بوزها ولا من الأكسة
فيقول له الأسطى حايل الفردة حتى تجي تمام وما كاد ينتهى الأسطى من هذا
الكلام حتى دخلت أم صناعى الرفيع وهى مرأة كبارية تظهر عليها علامات
الفاقة والبؤس وبعد أن سلمت على الأسطى سألت ابنها بقولها (يا جنائ أنت
امبارح بايت وين) فقال له برضة امبارح كان عندنا شغل كثير ومنت فى
الدكان ولكن هذه الأقوال كلها كضب الواقع إنه نايم فى بيت صاحبه - فلما
سمعت هذا الكلام صدقت ثم أخذت تقول له وين القروش حقات كسوة
أخواتك ما قلت بتسجين لى فى البيت فقال لها لس سيد الشغل ما دفع حتى
المراكيب وياكر إن شاء الله يدينا وأنا أجين ليك فى البيت فأمنت بهذا الوعد
وظنت أن ابنها يخجل شوية وينكسف وبلاش سكر وعربلة ويروح يديها
القروش علسان تكسى أخواته العربانات ولكن ظنها لم يتحقق وما كاد يستلم
ابنها القيرشين من الأسطى حتى ذهبت إلى الحباب وأما والدته وأخواته فلهن
رب اسمه الكريم ولما انصرفت أم صناعى الرفيع رفعت بصرى إلى السماء
فأريت الشمس قد غربت فقلت لهم السلام عليكم وإن شاء الله باكر أجي
إليكم لأستلم المركوب ولما جاء الصباح توجهت إلى دكان الأسطى إياه وبعد
السلام والرحمة جلست كالعادة على (بنبر) ومن كثرة ترددى عليهم أصبحوا
جميعاً أصدقاء لى وأن كبدنى هذا الأسطى المشاق الكثيرة وكلما أتيت إليه

لأستلم المركوب يطلع إلى بعذر ولا أجد قول الشاعر ينطبق على أحد من الناس إلا على هذا الحبلى وهو:

يأتيك من طرف اللسان حلاوة ويزوق منك كما يزوق الثعلب

ولا أطيل عليك الكلام عن أهالى هذه المهنة وفى أثناء جلوسى أنت نسيبة صناعى النعلات وبعد أن سلمت على الأسطى قالت له اسأل صناعيك ده وأشارت إلى صناعى النعلات وقول له ليك شهرين ما بتجى لى بيتك لى شنو بيت الحلال أخير من الذواعة والانطلاقه لما سمعنا كلام المرأة أخذ الأسطى يسألها من جهة أخرى وبعد مداولة الحديث ظهر لنا أن صناعى النعلات له زوجة وأولاد تركهم وراء ظهره واتخذ له صاحبة وسكت لا خوفا من الله ولا حياءً من الناس وبعد أخذ ورد أصلحنا بينهما وتعهد لها بأنه لا يعود إلى مثل هذه الفعال لأن الواحد لما يتزوج الأحسن له يتوب من هذه القبائح وما كادت تخرج نسيبته من باب الدكان حتى أخذ الأسطى يلومه ويقول حرام عليك يا شيخ السكر ده بطله إنت صاحب أولاد وفى أثناء كلام الأسطى دخلت امرأة من باب الحوش لم تدخل إلى محل الصناعية فلما رآها الأسطى أخرج إليها شيئاً من الفلوس ثم رجع إلى مكانه وعند خروج الأسطى أخذ صناعى النعلات يقول بتشوف المرأة (البره دى صاحبتة لا يخجل من الشيب ألقى راسه) وكلنا فى الهوى سواء ونحن الصناعية منهم تعلمنا وما كدنا نفرغ من هذه المشكلة حتى اعترضتنا مشكلة أخرى وهى دخلت علينا امرأة معها ولد صغير عليه جلابية ممزقة يظهر من تحتها جسمه ولما رأت الأفى أخذت تقول له سمح يا فلان بارك الله فيك تأخذ فى اليوم ريالاً ونص وأخوك عريان واسم العيش فى البيت ما فى ولنا يومين ما ولعنا النار فى البيت والرسول عليك ما بتخجل أختك تبقى تخيظ الطواقى فى البيت وتاكلنا

الكسرة وإنّ الصبى منصف هديمتك وجارى مع بنات الناس أليتك إن كنت
بت يا جنائى وخرجت زعلانة وأنا (تقول صبت فوقى مطرة) وأخذت أقول فى
نفسى يا ليت إن كان بنت لأن البنت أنفع منه فهى تعيش أخيها وأمها من
خياطة الطواقى والصبى الذى يجزر التمساح من البحر يكوى هديماته ومن
قهوة إلى قهوة ومن سكرة إلى أنداية وإذا رأيت فى الشارع يمشى كأنه يعرق
الأرض أو يبلغ الجبال طولاً كبرياءً وعجرفة وإذا كانت هناك وقاحة ولا شكلة
تجد عكازه أطول من لسانه ويا ساتر أستر كل هذا جرى فى نفسى وأما
الصناعى الذى وجه إليه هذا الكلام أتظن أيها القارئ انكسف أو شعر بأن هذا
الحديث أشد آلاماً من السلاح كل هذا لم يحصل بل أخذ يغنى ويقول:

والله يا نابرات الوجن صد دهري وقلب المجن

فعبجت كثيراً من هذه النفوس التى لا ترحم والديها ولا إخوتها بل
أقصى أمانها السكر والعريضة والتمادى فى الفساد ولا هم لها غير هذا
وسألت الله أن يخلصنى على أسن حال هذا ما رأيت من أخلاقهم أما من
خصوص الشغل الذى دفع ثمنه سبابى المراكيب التاجر فقد قرب أن يخلص
وكان اليوم الذى أنا فيه الأربعاء وفى أثناء وجودى بدكان السرماطى حضر
الرجل الذى يشتغل سبابى فى الجلود وهو يطلب الأسطى ديتاً قديماً ودفع إليه
كمية من الجلود لأجل تمشية حال الدكان ويتمكن من خلاص الدين القديم
والجديد ونظر السبابى يميناً وشمالاً فى جنبات الدكان فرأى الشغل على وشك
الخلاص فاطمأن وأخذت أسارير جبهته تتطلق بعد أن كان صارى وشه وبعد
حديث طويل فى مسألة المراكيب ودفع الدين القديم انتهى بهما الأمر على أن
باكر الضحى يأخذ الأسطى هذه المراكيب ويسلمها إلى الرجل فى دكانه
وخرج السبابى على هذا الوعد وبعد شوية جاء التاجر الذى دفع عن

(كورجة) المراكيب الفلوس وهذا الشغل معمول على ذمته فلما رأى المراكيب على وشك الخلاص تأكد أن يوم المعاد المعلوم يستلم بدون كلام ثم تكلم مع الأسطى فأكد له بالإيمان والحرام أن هذه المراكيب لأجله وباكر صلاة الظهر تحيك في دكانك وخرج التاجر على بركة الله وما كادت شمس هذا اليوم تغرب حتى تم الأسطى جميع المراكيب حتى (الكركم) وفي صباح هذه الليلة رد الأسطى الشغل وضرب خماسه في سداسه حتى استقر به الرأي أنه لا يدفع إلى تاجر الجلود شيئاً ولا يودى إلى تاجر المراكيب نعلماً واحداً بل حمل الشغل وذهب به إلى طرف السوق وباعه وأتى إلى محله ودفع إلى الصناعية حسابهم والعاوز دين أداه لأنه إذا لم يدينهم علاوة على حقهم لا يحضر منهم أحد إلى الشغل وكان هذا اليوم الذى باع الأسطى فيه الشغل يوم الخميس وكان الأسطى والصناعية جميعهم ثيابهم فى غاية النظافة والظهرة والمكوة فلما رأيتهم على هذه الحالة سألتهم عن السبب فقالوا لى عندنا عازومة وحسن نجي ثم خرجوا جميعاً ولم يبق معى فى المحل إلا صبى الدكان الصغير فأخذ أسأله عن وقت مجيء الأسطى فضحك حتى كاد يقع على ظهره فسألته عن السبب فقال لى اليوم الخميس وباكر الجمعة وبعده السبت مخدرين والأحد أصفر والاثنين . . أم اليشتغل ويوم الثلاثاء تعالى تلقى الأسطى موجوداً فى هذا المحل فقلت وضح لى حديثك يا جنا بتقول كيفن فقال لى الصبى الأسطى والصناعية اللية عندهم سكرة لأن كل سرماطى فى يوم الجمعة تجده سكراناً وفى يوم السبت مخدرأ ويوم الأحد يمكن يفظم السكرة ويوم الاثنين يدرج حتى يوصل محل الشغل ويوم الثلاثاء ياداب يقشطوا لقرم ويقولوا بسم الله فلما سمعت حديث الولد قلت فى نفسى لا فائدة من الجلوس ههنا وصرت كل يوم أتردد على محل الأسطى لظنى أن الصبى ربما يكون كضابا فى أخباره

ولكن ذهبت الأيام الثلاثة ولم يحضر الأسطى ولا الصناعية وفى اليوم الرابع وجدتهم وبعد السلام جلست وأخذت ألومه على تأخير مركوبى فما كدت أخلص من حديثى حتى حضر الرجل تاجر الجلود وهو فى أشد أحوال الغضب وأخذ يقول يا أسطى فلان هذه المعاملة بظالة أدفع لك ثمن الشغل وتبيعه ما بتخاف الله أعوذ بالله السميع العليم من السرماطية ولكن الضبح فى الميت حرام وأصبح التاجر أمام الواقع والأسطى أباطه والنجم يا ربى كما خلقتنى ولم نفرغ من هذا الرجل حتى جاء سبابى الجلسود وما كاد يقع نظره على الأسطى حتى أرغى وأزبد وأخذ ينبذه بقوله يا قليل الدين ويا منافق ويا أكال حقوق الناس ألا تخاف من الله وأما الأسطى كأنه صبت فوقه مطرةً وآخر كلمة قالها للثنتين البدوره أعملوه أنا قدامكم فلما رأيت حديثهم ربما يؤدى إلى ما لا تحمد عقباه تداخلت فى الأمر وبعد أخذ ورد اتفقنا على أن يحضر سبابى الجلود وتاجر المراكيب فى يوم آخر يكون فيه الاتساق على الخلاص إنشاء الله ثم خرجا إلى حال سبيلهما ولما تحققت من خروجهما أخذت ألومه على هذه الأفعال حرام عليك ألست مسلمًا ولك دينًا يحرم عليك هذا المعاملة) وهذه الأفعال حرام عليك ألست مسلمًا ولك دينًا يحرم عليك هذا الغش فبييع المراكيب للرجل ثم تبيعهما لآخر أليس يكون مثل هذا العمل سببًا لوقف حالك وتعطيل أشغالك لم لا تشتغل طول الأسبوع وتبطل يوم الجمعة فقط وفى هذا اليوم تزور أهلك وأقربائك وأصدقائك لتوثيق عرى المحبة بين الأهل والإخوان وترتاح من تعب الأشغال ثم يوم السبت تقوم إلى أعمالك وأنت نشيط ألا يجب عليك ترك الخمرة وشربها وقد نهاك الله المنتقم الجبار ألا تخاف عذابه الأليم أتدرى ماذا قال لى الأسطى بعد هذه النصائح (المابيهديه الكريم تعبان) وأما هؤلاء السبابة وتجار المراكيب كثيرًا ما يحلفون

بالله العظيم للمشتري بأن هذا المركوب جلده جلد تيسٍ ونعله من أحسن ما يكون وهو من جوه ربما يكون مبطن من الطين ومن أعمالكم سلط عليكم ومن غش أخيه سلط الله عليه من يغشه والدينا يا شيخ على دايره الواحد منا يشيل طاقة ده يلبسها ده وحلالها فوق وصنعتنا هذه الله لا يجعلك من أهلها فتجد الأسطى منا مطلوباً لتجار المراكيب وتجار الجلود والنعلات والسبب فى ذلك أن الصناعية من الصغير إلى الكبير بصاحته أضف إلى ذلك أن الصناعى يشتغل فى الجمعة أربعة أيام أو ثلاثة أيام وما يتحصل عليه يضيعه فى سكرة الجمعة ويصبح السبت مخدر من الخمرة ويوم الأحد أصفر ويوم الاثنين يمكن يعديه نوماً من تعب العريضة وفى بعض الأحيان يكون الصناعى له صاحبة وتحلف برأس أبيها إن كان ما يجيب ليها فركة طلقنى ولا توب كرب ولا مركوب من الدهنى تكسره طق ما يدخل بيتها ويمكن هذا الصناعى عليه مدار الدكان فيضطر الواحد منا من ساقط للقاط يجيب الفلوس من (تحت الواطة) والأغرب من ذلك قد يكون عندك صناعى شاطر وأنت فى حاجة إليه فيسلط عليه أحد الأسطوات (ويتفنن ليه - تحت - تحت) ويقول له أخرج وأنا أسوى لك اليومية كذا فما يكاد الصناعى يسمع هذه الكلمات إلا ويطالبك بزيادة يوميته وإن لم تفعل يخرج وربما يكون الأسطى الأخير عنده قرشين شوية يدفعها إلى الصناعى الذى يشتغل معك فما يكاد يتسلم هذه النقود (إلا ويعبى سكرة طيرى) وبعدها يذهب إلى من أعطاه هذا الفلوس يشتغل معه فنجدنا يا شيخ على لهذه الأسباب وغيرها الواحد رقبته مليانة بالديون من جبهة السبابة وتجار المراكيب وتجد الصناعية بطنهم مليانة من جيعتنا لأننا إذا لم نسلفهم يخرجون منا وهؤلاء الصناعية لا يصرفون ما يستلفونه من الفلوس إلا على بنات الهوى لأنه لو كان يُصرف على أهلهم كان البطن ما فيها وجعة ولما

انتهى من هذا الكلام قلت له الآن نتقل إلى مسألة مركوبى لأنها هى التى تهمنى كثيراً فقال إن شاء الله باكر يخلص وفعلا فى الصباح أتيت إليه واستلمت النعل لكن بعد هذا التعب الشديد كما أتى عرفت كثيراً من أخلاق هؤلاء الإسكافية الذين لا هم لهم إلا السكر والفساد بل عجبت لمثل هؤلاء نصف دهرهم سكر وعريضة والنصف الآخر عطلة وما يتحصل عليه من النقود يصرفونه على الدعارة والفجور أما أهلهم من أمهات وإخوان وأخوات وآباء وعيال فليموتوا وليناموا على عنقريات من جبل وإذا ذكر الإسكافى تصور الإنسان العريضة بمعناها وإن كان فيهم بعض ناس أتقياء لأن كل مهنة لا تخلو من إنسان يخاف الله وأن العقلاء منهم لهم من المزاح والنكات ما يضارع الممازحة التى تقع من معريديهم وإلى هنا انتهى حديث السرماطى ويليهِ حديث المزين .

الحديث الخامس عن المزين

حدثنا على قال قصصت عليك ما شاهدته من أخلاق الإسكافية وعدم وفائهم بالوعد مع السبابة والتجار الذين تربطهم معهم أواصر المنفعة فكان الواجب عليهم أن يجعلوا الصدق والأمانة أساس معاملتهم وأن يتركوا البطالة والعريضة وشرب الخمر وهى حرام عليهم فى دينهم الإسلامى كما يجب عليهم أن يصرفوا ما يتحصلون عليه من النقود فيما يعود عليهم وعلى آبائهم وأمهاتهم وإخوانهم وأخواتهم بالنفع فهو خير لهم إن كانوا يعقلون وأما حديثى اليوم فهو عن المزين لأننى لما خلعت هدوم أعراب البادية ولبست صياب أهالى الحضرم وأبدلت (الشبب) بالمركوب رأيت أن شعر رأسى قد طال فمن المستحسن إزالته لأن إزالة شعر الرأة والأباط والعانة وقص الأظفار فى كل جمعة على الأقل من الأشياء المطلوبة شرعا كما إنها من جبهة تفيد الجسم صحة وعافية وبناء على هذه الفكرة قصدت دكان المزين وإذا قلت مزين فإنى

لا أعنى الحلاق الذى أقام فى وجهات دكانه عدة مرايات فإذا دخلت أيها القارئ أو دخل مثلك من أهل المدن فإنه يرى نفسه فى تك الجهات الأربعة بصورته الشخصية لا أقصد هذا الحلاق لأنه من الدرجة الأولى من مراتب المهنة والأجر الذى يدفع إليه باهظاً ومرتفعاً بل أقصد المزين الذى فى بعض الأوقات يقابلنا فى طرق البلدة ويناديننا بقوله يا شيخ العرب (ما بتدور تترين) فإذا كان الواحد منا مستعجلاً زينه فى ضل الصباح أو ضل العصر لكن أنا الآن لم أ: ون أرتض هذه المعاملة فذهبت إلى دكانه وجلست على الدكة وخلعت العمة وأتى المزين بالفوطة الحمراء ودرعها فى رقبتى ومسكنى الطشت وغسل رأسى بالصابون وسن الموس فى نعاله وتارة يسنها فى القاش وشرع فى الزيانة وقبل ابتداء الزيانة ظننت فى نفسى أن هذه الموس تكون سنية جداً بحيث لا أشعر بحركتها فى رأسى لكن ما كاد يجرها على رأسى حتى تذكرت أيام الصغر التى مرت وما يجرى منها فى عملية مثل هذه الزيانة لأننا لما كنا عيالاً صغاراً ورأس الواحد منا يشعف ويطول ويريد أهله يحتالون على زياته يقلون له بعد يتزين لم شعر رأسك وأدفته فى (الواطة) وبعد سبعة أيام ينقلب (بيضة جدادة) فتجد الواحد منا فى حب هذه البيضة الخرافية يتصبر ويمنى نفسه بها ويتحمل حرارة الموسيقى وديببها الذى يشبه ديبب [الملودة] وسيرها فى البلاد المعيشة وسبب حرارة هذا الموس أولاً أنها ميتة وثانياً من يريد يزيناك من أهل البيت متطفل على هذه المهنة وبعد انتهاء عملية الزيانة تظل فى الصباح والمساء ترقب الحفرة التى دفنت فيها الشعر هل انقلب بيضة أم لا وتمر الأيام السبع وأنت فى اعتقادك أنه سينقلب وقبل الانقلاب يمكن شعرك يعود كما كان فيحتالون عليك بتمثيل دور آخر وهكذا هذا كله فى حال الصغر لكن الآن بما اتسلى وأنا رجل كبير والصغر له أحلام للذينة

وخرافات تنسني حرارة الموسيقى وآلامها ففكرت بما أسلى نفسي من هذا
المحراث الذي زحف على رأسي وأخيراً طرأ لي السؤال الآتي بعد أن كاد
ينغى على من حرارة الموسيقى التي لا أشك أنه ورثها عن المعلم الأول لهذه
الصنعة قلت له أخبرني يا شيخ فلان عن أحسن شيء رأيت في حياتك وأقبح
شيء شاهدته فيها - وكان ظني أن سيجيني عن أغرب الأشياء التي عرفها
في حياته لأحيط بها علماً ولكن أجابني بقوله أما أحسن الأشياء التي رأيتها
في حياتي هي أن الرجل إذا دخل دكان حلاق وأزال شعر رأسه فيجب عليه
أن لم يكون برمكياً فليكون منصفاً لأن هذه المهنة مبنية على مكارم الأخلاق
وأما أقبح رجل رأيت في حياتي فهو رجل أتاني وبعد أن زينت له رأسه ودقته
وشنيه وأباطه وربما قلم أظفاره وإذا دفع دفع لي شيئاً لا يرضى الإنسان أن
يدفعه للشحاة فلما سمعت كلام المزين أدركت المغذى في الجواب وقلت في
نفسى هذا المثل (دق القرقة خل الجمل يعرف) لأنه يقصد من حديثه أن يقول
لي يجب عليك أن تكون برمكياً ولا تكون عربياً (أشو) فقلت له (ولا
مؤاخذة) أنتم معاشر الحلاقين والمزينين تستاهلوا هذه المعاملة فقال لي لم
فقلت له أصبحتم لا تعطون الصنعة حقها من حيث إنها صناعة ومن أخذ
الأجرة حاسبه الله بالعمل فإذا جاءكم إنسان من المتقمشين تقدمون إليه أحسن
القوط وتقصون شعره بأحد الأسلحة حتى يكاد ينام بين أيديكم وأما إذا
جاءكم أحد مثلى تقصونه على من وشك وهذه المعاملة ليست حميدة
والواجب على الصناعات منكم أن يعامل الله بدمه واحدة ويعامل الزباين بهذه
الذمة فقال لي هذه المعاملة تكون عند أهل المحلات النظيفة أما نحن فلا فقلت
هذا قول باطل أليس توجد موس سنية عندك حتى تزيني بهذه الملوذة ألا
تخاف من الله حتى تركت رأسي يتشايح من حرارتها ولما فرغت من كلامي

كان المزين خلص من إزالة شعري وأتى بقليل من الزيت ومسح به رأسى فأصبح أشبه بالجنة المسحة التي ترارى فى عين الشمس ثم لبست طاقتى فأصبح زى الضبة فى العكاز بعد ذلك أتيت بالعمة وأظنها سبعة أذرع وفى النهاية قالى المزين بعد دفع الأجرة هنيئاً أو نعيمًا لا أدرى فقلت له أنعم الله عليك وأسأله تعالى أن يهديك ويوفقك لتغيير مثل هذه الأمواس وأظن بعد الآن أحلق كارى بالمكنة عند حلاق أرقى من هذا شوية وإلى هنا تم الحديث الخامس ويليه الحديث السادس عن الإندياية .

الحديث السادس عن الإندياية

حدثنا على قال قد أخبرتك أيها القارئ عن المزين وما جرى لى معه فاليوم حديثى من أطرف الأحاديث لاحتوائه على أخبار المريسة وشاربيها الذين لعب الشيطان بهم حتى حسن لهم أن يبيعوا عقولهم بكأس من الحمرة أم الكبائر ولما كنت من أبناء البادية الأعراب الذين ليس ليهم من التعاليم الدينية ما يقيهم من شباك إبليس اللعين فقد قدر لى أن أكون فريسة له وساعده على اقتناصى أصدقاء السوء الذين يحبثهم حين قدومى إلى المدينة لأن الصداقة والخوة أصبحت فى هذا الزمن كلها معلولة لأنك كثيرًا ما تُشاهد الناس يميلون إلى بعضهم البعض لعلل وأقراض حتى إذا انتهت تفرقوا ولكن بالأسف بالبغضاء والشحناء بل قد احطت الأخلاق حتى أصبح الصديق لا يُصادق الآخر إلا لأجل أن إخوته حسنا ليحظى منها بنظرة أو يكون صاحب مال ليتدين منه ثم يفارقه بالسب والشتم ولكن صحبتى مع هؤلاء الإخوان لم تكن من أجل المال ولا لشيء آخر بل كانت صحبة مراسة أولاد كأس فكنا نذهب إلى أمكنة المريسة وهى فى الغالب تكون خارج البلد وفى كل بيت منها [رأية] طويلة جدًا تنادى أولاد الكأس وكان أول عهدى بها أننى كنت مع

أحد الأصدقاء فقال لى النادى العربى شفته فقلت له لا وكنت أظن أن النادى مكان يجلس فيه الناس للمآنسة لكن عند وصولى تبين لى أنه شىء آخر له نظام وقانون اسمه (العدل) وكنت فى هذا اليوم ضيفاً كريماً على هذا الصديق فدفع لى (حق العدل) وهى أول مرة شربت فىا البقنية وكان صديقى زبون رسمى له مع جماعة آخرين (تايه) يجتمعون فيها فى كل يوم ولهم رئيس يسمى (شيخ التاية) يدفعون إليه الاشتراكات وهو مسئول أمام ست المريسة التى تحاسبه عن قيمة (الدلائق) التى تقدمها إليهم وهذه النيات ليست فى درجة واحدة لأن من يشرب المريسة ليس مثل من يشرب (أم بلبل) لأن الأول فى الدرجة الثانية والثانى فى الدرجة الأولى وإن كانوا الجميع يستحقون غضب الله وسخطه بشربهم الخمرة المزيلة للعقل الذى هو أفضل شىء يتميز به الإنسان عن الحيوان الأعجم وكل تاية لها محل خاص تجلس فيه ولا تسمح صاحبة الخمارة لأى تاية تجلس فى مكان الأخرى إلا إذا تحققت أن أصحابها لم يحضروا فى هذا اليوم كما أن كل تاية تأتى (بالمزه) التى تشتهيها من (حوت وبصل وفجل وليمون ولحمة) أما (الشطة) ومنقد النار الذى تنجض عليه (الشية) فإنهما من صاحبة الأنديا كما أن عليها أن تحضر (البروش وبمبر شيخ التاية) وكنت فى هذه المرة محترماً جداً بين أفراد تاية صديقى الذين قابلونى بكل بشاشة بل من شدة الاحترام تنازل رئيس التاية عن كرسية الخاص وأجلسنى عليه وكانت (المزة) فى ذلك اليوم من حسن الحظ (لحمة ضانى وكرابة الشية ما تديك الدرب وكان المجلس فى وسط احوش والهمبريب ضارب من جميع الجيهاات وكانت المريسة بالتييار والشراب بالنقار وفى بعض الأحوال بالقرع الكبار وحلالنا الشراب وامتلأت البطون ودبت الخمرة فى الرؤوس وأصبح الواحد منا إذا أراد أن يمشى زى الناس ياخذ ليه عترتين ثلاثة وكنت أظن أن برام المريسة من كثرتها لن نستطيع تخليصها لكن المريسة كانت

سمحة بلحيل الواحد يشرب منها ما يروه حتى طب كملناها عن أخيرها وكان الليل قد انتصف وأخذت كل تاية فى توزيع أفرادها وكنت أنا وصديقى من ضمن الذاهيين فكنا من شدة السكرة يميل أحدنا على الآخر وفى بعض الأحيان نقع أربشى فتطير العمم من الرؤوس والمراكيب من الأرجل والعكاكيز من الأيدى وبعد انبطاحة قليلة يمك أحدنا بيد الآخر ثم نقوم وبعد أن توسطنا داخل البلد ونحن متوجهون إلى منزلنا تخيلنا أن المطرة نزلت بكثرة حتى ملأت الأرض فقلعنا المراكيب وشمرنا السراويل ثم تمادى بنا الخيال حتى تكونت الأمطار سيولا فبحراً متلاطم الأمواج إذاً وجب أن نعوم فطلعنا الهدوم وأخذنا نسبح فى التراب وفى بعض الأوقات يضرب الواحد (منا) الهوبة ويقول للآخر التمساح جاك يا زول أوعى منو) ونحن على تلك الحالة البحرية وإذا بجماعة من الناس وقفوا مبهوتين من هؤلاء المراساة الذين توهما ضوء القمر بحراً متلاطم الأمواج فإذا هم يسبحون فيه حفاة عراة الأجسام وكان من سوء حظنا أنهم يعرفوننا حق المعرفة ويعدوننا من عقلاء الناس الأتقياء ولكن تبين لهم الخيط الأبيض من الأسود بهذه الفعال القبيحة التى لا تليق بالإنسان ولا أطيل عليك الحديث أخذ الجماعة يستروننا بالهدوم ونحن نعارض أشد المعارضة بأن ثيابنا ستبتل بماء البحر وبعد مجهود كبير ألبسونا الثياب وأخذوا يدرجوننا حتى أوصلونا منازلنا ثم ذهبوا إلى حال سييلهم وبات الواحد منا نص على العنقريب والنص الآخر على الأرض إلى طلوع الشمس وبعد أن شربت عدة فناجين من القهوة المرة البكر فقت شوية ثم نظرت إلى جسمى فوجدت به خربشة كثيرة من الحصاحاص والحجارة والقبشة الشديدة من التمرق على الأرض التى حسبناها بحراً فأصبحت أسأل أهل البيت عن السبب فلم يجبى أحد فطلبت (موية وتبردت) بها ثم توجهت إلى

السوق وكنت من عادتي الذهاب إلى أحد الأصدقاء من التجار فأقيم عنده قليلاً فلما رأيته أخذ يضحك حتى رقد على قفاه فسألته عن سبب الضحك فلم يجبني في أول الأمر فأكدت عليه فقال لى بشرط أن لا تزعل فقلت له أقسم لك أننى لا أزعل فأخذ يقص على الحكاية من أولها إلى آخرها وأخذ يلومنى على هذه الفعال الشنعاء ويعظنى العظات الطيبة فأكدت له أنى لا أعود إلى شرب (المريسة أم المصابب) فشكر لى هذه التوبة وسأل الله أن تكون صادقة ولكن المراسى فراقه للبقيّة قاسى أن تأبى اليوم باكر بعود ثم أتى هجرتها عدة أيام ولم ألاق صديقى القديم لأن السكره التى تركتنا نعوم على الأرض أعلت صحته حتى رقد أياماً عديدة طريح الفراش ولما بلغ العافية أتانى وأخذ يقول لى لنا زمن من (التايه) والدندايه يعنى المريسة فقلت له أننى تبت لا يمكننى أعود إلى شربها فقال لى وهو كذلك لكن نذهب لأجل السلام على إخواننا فى الأندايه ثم نعود فقلت له أخشى من العوده إلى محلات الخمور أن أعود إلى شربها فدعنى وشأنى فأبى ألا أن أذهب معه لكن بشرط أن لا أشرب فتوجهنا إلى نادينا القديم وبعد دخولنا وجدنا التايه فيها الصحبان القدماء وكان (العدل) يتقص منه رجلان ولما جئا تعين أن نكون كماله العدد وأنا شخصياً دفعت حتى ولم أشرب فى أول الأمر ولكن ما كاد الشراب يدور حتى قام الرئيس ومد إلى القرعة وقال على بالطلاق إن كان تشرب يا فلان فقلت له مرجوعه فى مسماها أنا تبت فلا يكون فى زعل يا ريس فقال يا فلانة مدى ليه الكاس فجاءت الأتايه وبعد أموت ليك وتدبنى ونسيبتك تناولت الكاس وتر قطعت لأن طلاق المراسى وحرامه وتوبته وموائيقه ليس لها محل من الأعراب فهو يحلف بالله العظيم كاذباً لأجل ذلك تجد أغلب الذين يشربون الخمره لا عصمة لهم لأن الواحد منهم فى حالة السك يحلف بالطلاق والحرام ويقع عليه وهو لا يزال يقعد مع زوجته ولكنه بالحرام فشرّب

الخمرة له مفسد كثيرة بل مضر بالصحة والعقل وسبب في القتل وكثير من الجرائم والحوادث علاوة على ذلك شارب الخمرة عليه غضب الله وملائكته ويتظره في الأخيرة عذاب أليم ولنعد بك إلى التاية التي كنا بصدها وكان فى ذلك اليوم الشراب من أم بلبل أو ما يسميه المراساة بأمر نارين ونار الآخرة الثالثة لشاربيها وهذا الشراب شديد جداً إذا شرب منه الإنسان كاس والثانى يتكلم بر من رأسه وكانت المزة كبدة ولحم والشية وقفت قرش ونص والدخان الجمبك ما بتشوفه وكانت الدنيا حر والشراب حار وهذه تمثل هيئة أصحاب النار ويعد أن دار الشراب مرتين ثلاثة وأخذت الخمرة فى الرؤوس مكانها ويعدّها بشوية شعشعنا وابتداء الغنا فعلى كل واحد من الجالسين أن يجيب الغنوة التى يختارها فابتداء أحد منهم يقول قال قال قال .

الشراب حد القممر والبشر بالعيش عظمة أنسمر

البصلى ويوم شتن عمل والفايدة فى طيبة العمل

وقال الثانى منهم يدوبى :

يا طير شن مشيت سلم على البريدة قولها الولوف ماسكاه حمة شديدة

من فرق الجيدية ألقى جمالها فريدة إن ما جات معاك جيب لى سبيحة فى ده

وقال الثالث منهم قال قال قال يدوبى :

الليلة البنات أجمعن للمرقة لابسات قرمصيصر مات قنعن بطريقة

ستأتى الظراف أمات كليمة سرقة يدن سيد غرام بالطبايق زرعة

وقال الثالث أيضاً وكان صوته حسناً يدوبى :

الليلة الغرام حرك على دلابة مرأ شرب نار مرأ يغير بحرابه

من شوفة الرخس داك المفرهد دابه دمع العاشقين يسرف على أحبابه

وقال الرابع منهم يدوبى :

يا طير الأراك بالله كيف كلام
أبوها معجزة وقديمة تبرى حمامة
خاطبنى الفيريع قال لى مى نضام
يا رمضان شفاك أنا روحى تحت زمامة

وقال الرابع أيضاً يدوبى :

أطنا شر ربيع شفنا احتفالا جامع
بالعين ما نظر لكن سمعنا مسامع
شفنا الجليل عموم متجمعات فى الجامع
يا رب يا كريم تجمعنا فيك يا جامع

فلما سمع أحد الجالسين هذه الغنوة قام وهذّ فى الغنای وقال له حرم
أكان تبشر أنا (كركاب) مطرة بلا حساب مريسة بلا مشكاب آع أرقدا يا عيش
أنا جرابك أنا الشافوا أبوا أنا ضقل الشاردات أنا صاقعة الهواء ثم جلس وبعد
جوطة من السكاراة أنصتوا لقول الخامس :

قال الخامس قال قال قال يدوبى :

الليلة البنات أجمعن فى شان
الهندي الرفيع قلبن فوق نشانن
زى الخيل بتأتا فى بطن حشانن
الجرى والشيوم كل التعب على شانن
وقلت أنا لما جاء دورى أدوبى :

كبرت يا جمل ما تقلع الدراب
سيدك ما يخاف أن كشكشنا وحراب
يلماخذ على الهقش وجرى الداداب
وما ييهسف على روحاً وراها عذاب
وقلت أيضاً أدوبى :

كربت يا جمل لا تقلع الضانقيل
سيدك ما يخاف أن كشكشلو الخيل
يلماخذ على الخقش وجرى فليل
وما ييهسف على روحاً وراها نكير

ولما خلصت من الغناء قال شيخ التاية جاتكم تارة عشرة عشرة حق
 الفجل والليمون فدفغ كل واحد منا نصيبه كما أننا دفعنا نص نص حق مريسة
 نبرد بها حر أم بلبل التي صبحتنا من شدة السكره زى القرع فى الموية فى
 وقت الريح الشديد ولما يريد الواحد منا يعمل زى الناس يمشى خطوتين لقدام
 وثلاثة لوراء والمراسة أكرمك الله زى السبلوكة المقدودة تمتلى من هنا وتفرغ
 من هناك ولذلك تجده يشرب برمتين أو ثلاثة من المريسة أو دلقين أو ثلاثة من
 أم بلبل مع العلم لو أتيت إليه بصحن كسرة لأشبعه لكن يشرب أردباً من
 العيش إذا كان مريسة ولأجل ما تقدم تجد العامل الوحيد فى غلاة العيش
 المراسة عليهم علامات النجاسة والخبائة وتجد كثيراً منهم لا يأكل الكسرة عدة
 أيام بل يكتفى بشرب الخمرة فى المساء وفى الصباح ولنعد إلى ما كنا بصدد
 فقد طاب لنا الشراب وألا تنسى أن مجالس السكر لا بد أن تختم بالعكاز أو
 بالسكين والنهائة الموت الحمر وأعوذ بالله من إنسان يموت وبطنه مليانة من
 المريسة فلا شك أنه يكون من أهل النار وبئس القرار وكان من ضمن القاعدين
 معنا (صاحبة) شيخ التاية وكانت تعبى لنا الكأس وتشوى لنا اللحمه وتقوم
 فى بعض الأوقات (بتقرش الكوز أو علبه الكييت) أو ترقص وتدى كل واحد
 منا الشبال وفى هذا كله لم يكن أحد منا يتعد الآداب المرعية أو يأتى بأى
 شىء يعد إهانة لهذا الرئيس لكن المجالس لا تخلو من الهفوات التى تكون
 سبباً لإثارة المعارك الدموية فقد حصل من أحد الجلساء فى حالة شدة السكر
 شىء عدّه شيخ التاية مهيناً لكرامته وهو أن أحد الحاضرين (قطع براق)
 لصاحبة شيخ التاية وظن أنه لا يراه من شدة السكر ولكن الشيخ كان جرقاً
 مهما يشرب من مريسة وأم بلبل فهو سندالة ثابتة يرى ويسمع بعينه (وأظنينة)
 وحافظاً لقواه العقلية وإنسان هذه صفاته لا يستهان به فقد رأى ما حصل من

ذلك الجالس فكاد يتيّمز من شدة الغيظ وأخذ يفتش لعكازه وكان اسمه (سجم اللاقوتا) فلما وجده وضعه بين كرغيه ثم شمر إديه حتى ظهرت السكين للناظرين فستغربنا هذه الهيئة التي لم تجر بها العادة ثم أخذ يكورك لصاحبنا بقوله فلان ود العفنة بتفرّف لصاحبتي فما كان من الآخر إلا أن قال له شوف السلفس قايلتي بخاف منك أطلع معاي الخلاء إن كان ما أجيبك جارى ترس أنا أبو يا زنب وكان صاحبنا هذا من الهراطين الكضابين الذين يتحدّثون ولا يفعلون ولكن كان شيخ التاية قليل وقصير والرجال صناديق مقفلة تنعرف بعد لافتح وكان صاحبنا الخاطى بالعكس سمين وطويل وبقدر ما حجزناهم أبو ينقرعوا وأخيراً دار العكاز كره وكاو ولب وبوت وبعد شوية نشوف ليك الشيخ شال الراحل وقيل فوقه وخنقه وخل كرغينه بيتبّاً وعركه بالواطه حتى قطع النفس وبعدين جر ما تجر رفعناه منه وأخذنا نقول لهم اللوم القاسى يا فلان وغير ذلك من الكلام حتى هديناهم بعد حين لكن الدلائق لم يفضل فيها واحد بل كلها تكسرت ويعوض الله ستهن ويهديها ويهدينا معاشر المراسة من شر البقنية التي من شربها فقد عقله ومن فقد عقله جن ومن جن عربد ومن عربد ضرب ولا ضربه ولا قتل ولا قتلوه وصدقوا القائلين أهل العقول فى راحة وليس شكلة المراسة يدفوا بناها براهم ولما كان المثل القائل الحجاز ليه عكاز فقد أخت لى عكازين تلاته وعلى كل حال سلامة ونحمد الله الما وقعت رقبة لأنك تجد سبب القتل أما أن يكون من الخمرة أو من النسوان وقل أن يوجد قتل ويكون سببه أشياء أخرى فالعاقل يجب عليه أن يكف من تعاطى هذه الخمرور يجمع أنواعها لأنها حرام ومضرة وتسبب كثيراً من القلاقل والفتن بين الناس وكفى الإنسان معرة أن يكون الحيوان الأعجم أسعد منه حالا لأنك إذا رأيت الحمار أو أى بهيمة من البهائم

تجدها سايره على خط ستقيم بخلاف السكران فى حالة السكر فإنك تجدها يتخبط من حيطة إلى حيطة ويضرب هذا ويشتم ذاك بدون سبب ولنعد إلى العريضة التى حصلت وما أحدثته من الإتلاف والخسائر بصاحبة الأنداية فإنها لم تطلب تعويضاً عن خسارتها من هؤلاء الزباين ثم بعد ذلك خرجنا الأعمى يجر المكسح وافترقنا فرقتين فواحدة أخذت الشيخ لتوصله إلى بيته خوفاً من مهاجمة خصمه والأخرى أخذت الخصم الآخر وكنت أنا من هذه الفرقة فوصف بنا بيته وفى أثناء سيرنا تقابلنا (مرة) وما كاد نظرها يقع على صاحبنا حتى أمسكت بطرفه ولما سألتها قالت ليها عنده سبعة قروش حقات مريسة وتكوس عليه ليها شهر وحلفت براس أيها ما يمشى من هنا إلا بعد دفع الدين ونحن عدمانين الليم الواحد لأن المراسى من هؤلاء متى قبض حق المريسة اليومى يجب أن يترك العمل ويذهب إلى مقر الخمرة ويظل يشرب إلى آخر الليل وإذا كان له عيال أو بنات فليموتوا جوعاً وإذا كان شاباً لا يسأل عن أبيه وأمه بل همه الأكبر المريسة ولا يأنف أن يكون من زباين هذه الأمكنة القذرة النحطة وفى وسعه أن يكون من أحسن الناس إذا جد واجتهد وأقلع عن الفساد والكسل والخمول علاوة على ما فى هذه الأمكنة من الأمراض القتال من حلق ويجل وصفراء وكثير من الأمراض التى تنتشر بواسطة الساقطات من النسوان فاسدات الأخلاق اللواتى يترددن على هذه الدور الجهنمية التى جعل الله فى هذه الدنيا علامة أهلها رائحتهم المنتنة وهدومهم البالية القذرة وأجسامهم التى أحرقتها الخمرة بناها ولهم فى الآخرة عذاب عظيم بما كانوا يعملون من الفساد ومن العجيب أن ترى بعض الصبيان المعروفين بأن أهلهم من خيار الناس مترددين على محلات الأنادى بلا خجل وعدلى وعدلك وسلوا جاتكم تارة حق الحوت والفجل بالأسف وباللدناء والانحطاط الأخلاقى الذى لا يليق بالصبيان الذى يرجى منهم أن يكونوا

رجالاً بارزين في العلم والتجار وغير ذلك من المهن الشرعية التي ترفع الناس إلى المقامات العالية بين الناس والعشيرة ومن العجيب أن المراسمة الرسميين الذين لا يتركون الخمرة في يوم من الأيام تجدهم في الصباح أو الدقش بدرى يذهبون إلى الأنادى التي لهم فيها تايات فيبدل الواحد يصبح في بيته ويصلى إلى خالقه ويسأله أن يسهل عليه أسباب الأرزاق لا يفعل هذا بل يذهب إلى الإندياية أو بيت الخمرة ليشرّب كأس (دقة) ثم يذهب بعد ذلك إلى محل عمله لا ليعمل بجد واجتهاد ليوفر بعض الدراهم للمرض أو للفرح أو للواجبات الاجتماعية التي يتعاون بها الناس بعضهم بعضاً ولقرش الأبيض لليوم الأسود بل يعمل لأجل يحصل على حق العدل فمتى تحصل عليه يهجر الشغل ويذهب إلى دار الجحيم والزنا والفجور ثم يتوجه إلى بيته فينام بما عليه من ثياب قدرة ثم في الصباح يعود إلى ما كان عليه بالأمس وهكذا الحياة فمن يموت على هذه الحالة إلى أين يذهب أليس إلى الجحيم فيكون من المتوطنين فيها وأعد الله عذاباً أليماً فليفكر متبعوا الشيطان من هؤلاء الأشقياء ما دامت لهم عقول يميزون بها الطيب من الخبيث وآذان يسمعون بها وعظ الله وزجره عن الخمرة من مريسة وأم بلبل ودكاي وعرقى وجميع أنواع الخمرة ولا يعذر الإنسان بالجهل فقد أبان الله طريق الجنة وطريق النار فليختار الإنسان لنفسه ما يحلو ولنعد إلى المرأة فلما رأيناها مصممة على قبض الرجل ونحن ليس معنا شيء من النقود ترجينا بعض الناس الذين اجتمعوا علينا والدنيا لا تخلو من أهل الخير فدفع لها السبعة قروش ثم توجهنا إلى أن وصلنا إلى بيته وعُدنا إلى منازلنا بعد جهد جهيد وفي الصباح لما استيقظت من النوم وفكرت في ما جرى ليلة أمس من فضائح صممت تصميماً أكيداً أن لا أعود إلى هذه الأمكنة ومن يريد الله به خيراً يكون سميعاً للنصائح وإلى هنا تم حديث الأنداية ويليله الحديث السابع عن سُكر أولاد البلد.

الحديث السابع عن سكر أولاد البلد

حدثنا على قال قد أخبرتك عن السكر في مواخير قذرة لا تليق بأى إنسان أن يدخلها وعن ما حصل لى فيخا ولكن الترقى كما يكون فى العلوم والمعارف والأخلاق يكون فى الأشياء المنحطة السافلة لأن العقلاء من الناس تجدهم فى هذا اليوم أحسن منهم بالأمس والجهلاء والحمقى تجدهم فى فسادهم يرتقون من درجة إلى درجة أرقى منها فى الرذيلة وأنا قد قدر لى أن أؤن من هذا النوع الأخير من شراب (أم توف إلى المريسة إلى أم بلبل إلى الدكاي إلى العرقى إلى الذيب إلى الكونيك) إلى غير ذلك من صنوف الفساد لأنه بحر لا ساحل له والسعيد من (الغيف ويلبس هدومه) وإلا يغرق إلى الأبد إن لم يرجع إلى رحمة الله ويقطع عن الغواية إلى نور الهداية والعامل الوحيد الذى كان سبباً فى هذا الترقى صحبة بعض الصبيان الذين لا يجتمعون على فضيلة من الفضائل بل جميع اجتماعاتهم إما فى سكر أو غيره من المفسدات فقد عزمنا أن نعى السكر فى بيت واحد من العواهر فى يوم من الأيام ولما جاء الميعاد توجهنا إلى الدار وضررنا الباب وبعد شوية تسمع حس الباب قال سيك وبعد أن دخلنا (ككرب إنغفل) الباب وسلام منا وحبابكم من الطرف الآخر والغيبة دى وين يلجنيات واتفضلوا ودخلنا فى جوة الديوان فوجدناه مغشواً ومفروشاً ومرشوشاً وشباكين من السافل وشباكين من الصعيد والبرنده خشمها مقبل صباح وبعد فترة صغيرة أدينا ست البيت تحيب لينا قزبرة ولحمة لأن السكر تبتدى من قيزازة وتنختم بخراب الجيوب والعكاز وقيل بالطعن وبعد شوية جابت القزازة واللحمة والفنجال وكبت فى الفنجال ودفقتة على الواطة وهذا الاصطلاح لا أدرى معناه ودار الكأس على الجالسين وكنت أنا أول من شرب وكان العرقى بكرى وشديد بلحيل يطير

للزول فى راسه ولما حصلت القزازه إلى نصها دخلت واحده وسلام وحبابكم
وبعد جلوسها جنبنا ليها قزازه لأن من نظام هذه البيوت كل واحد من
الداخلىن يجييون له طلباً لأن هذه من الواجبات والاحترامات التى يجب
مراعاتها وهذه الأفعال من باب تبادل المنافع لأن صاحبتنا التى نحن فى بيتها
إذا كانت سكرة فى بيت غيرها من أخواتها فى المهنة القسيحة تقدم لها مثل
هذه الأشياء والمصاريف كلها على أولاد المغفلين أكرمك الله وحماك منهم
الذين تجدهم فى مثل هذه البيوت يصرفون الفلوس ذات اليمين وذات الشمال
ويمكن أهله فى البيت ملوة العيش ما عندهم وأخواتهم ينمن على عنقريب
الحبل وأدى الرجال ولأبلاًش وأدى الصبيان الفناجرة الشطار ولنعد إلى نظام
المجلس جلسنا زى عقد السوميت المفصل حبة بيضة وحبة سودة والشراب داير
والسجار بالصندوق وبعد أن قطعنا قزازتين تلاتة شعشعنا وشوية العقل قال
السلام عليكم وفارقتنا وقالت الوداع الوداع أيها الأخوان ولما أصبحنا بغير
عقول انطلقت الألسن وانحلت زراير الجزالين الكبيرة وأخذت الريالات البيض
والورق الأخضر أبو نخلة تفسح لنفسها الطريق وتريد الخروج وتحلف يمينا أنها
لا تقيم فى جيوب أناس باعوا عقولهم بقليل من الخمر وباعوا صحتهم بهذه
السموم القتالة واختاروا رضاء الشيطان على رضاء خالقهم بل أصبحت
عقولهم صغيرة جداً حتى أنهم يغترون بشكر ومدح هؤلاء الساقطات فإذا
فرغت جيوبهم تنكرون لهم وقلن للواحد منهم دى ربحتك ولأ... إلى غير
ذلك من السباب والشتم بل قد يكون الواحد من هؤلاء الصبيان يسافر
الأسفار الطويلة ويلم ليه كم جنيه فلا يفكر فى زيادتها وعماها بل يقطس ليلة
واحدة ويقلع براهن ويبدأ من ألف با تا تا لم نفكر فى هذه النتائج السيئة بل
تماديننا فى الصرف بكل سخاء بل نصرف صرف من لا يخاف الفقر كأن

الواحد فينا عنده دربخانة ويعجننك بنات الهواء الواحدة فيهن كيف تجمع هذه النفود المتناثرة التي بين أيديها فقد تدفع الريال لأجل تشتري لنا منه صندوق دخان ونظن إنها تجيب الباقي ولكن الباقي (يوك) وندفع حق عشرة قزايز عرقى تجيب النص والباقي ما فيش ويمكن تجيب العشرة لكن تكب من الواحدة فنجالا والثانى تنفخ القزازه وأتختها تحت الطرابيزة وبعد شوية العرقى كمل فالسكران ودأم. . يدفع فى نفسه وبعد حركة وهمية ترجع القزازات القدامة ولا يعرف واحد من المغفلين كثيراً من حيل العاهرات التي تفوت على إبليس أيهن بل يمكن الدور يمثل أمامه بدون تكليف ويغتموله بقولهن سنن البرامكة قبيل يابامنة أحيتها ويهز ويضرب كراعه بالواطة وفى أثناء الطرب يمكن يشيل قفة من (البناضورة) الحمرة وليعمل نفسه عتبه يستحمل الدوس ونحن على تلك الحالة دخل علينا واحد من الجنيات وبعد السلام وحبابكم قدمنا ليه طلباً وإلا النبذ البتعرفه براك يلحقنا وبعد أن جلس انقلبت قزازه فى الطرييزة فقال انقلبتى قلاب الفجل فى توتى وأصبحت أتعجب من هذا الشكل الذى إذا قيس بالرجال يتقص وإذا انقاس بالنسوان يزيد ومن ما يأسف له الإنسان أن مثل هؤلاء الذين يصابون بهذه الأمراض المخجلة متى ابتلى أحدهم به يترك جميع الأعمال ويصبح حسه لين ونبرات الرجولية تضع من صوته بالمره ويتمنى لو تتيح له الظروف فيكون من العوين فننصح لهذه الشيبية الفاسدة التي أخجلت أهلها وعشريتها بهذه الظواهر المفضحة أن يحافظوا على قواهم ويحفظوا أصواتهم ويتشغلوا فى أعمال شريفة فإن تابوا إن الله غفور رحيم وإن فضلوا متابعة الشيطان فلهذه الروايات النسوانية مخادع يمكن أن تكون هذه الرزائل محصورة فيها ولا توجد هذه الظواهر المخجلة إلا فى الأمة السودانية وإن كانت مثل هذه الأمراض موجوداً فى الأمم كلها ولكنه عندنا أخذ طوراً خطيراً حتى أصبح فريق من الصبيان فاسدى الأخلاق إن اكتفوا

بهذه الجريمة الفظيعة وهجروا الزواج بل يصرفون على هذه المخازى أضعاف ما يصرف على النساء وكل القبائح المتقدمة منشأها شرب الخمرة ومصاحبة الأولاد الصغار للكبار لأن اجتماع الشبيبة أصبح اليوم على خطر عظيم فإذا اجتمعوا فى سكرة وكان البعض أملكس فالنتيجة يعرفها إبليس فكثيراً ما نظرنا أن الأولاد الأشقياء يخوفون حسان الوجوه من العيال وربما أكرهوهم على رزيلة هم لا يرضونها فيجب على الآباء أن يراقبوا أولادهم مراقبة دقيقة فى هذا الزمن الفاسد فلا يكتفى السراجل بقول زوجته الولد راقد يا راجل شن بتدور به لأنه قد يكون صايحاً فى البلد من عرس الحلقة ذكر لأن أولاد هذا الزمن أصبحوا يلعبون بالبيضة والحجر ولا تنكسر وقد أعذر من أنذر ولنرجع إلى حديث السكرة استمرت الحالة على أحسن ما يكون وبعد أن كان الشراب بالفنجال أصبح بالنقار والقزاز مترترما يديك الدرب ولا أقول ليك الخمرة بالصندوق وتقول لى كضاب لأن الجماعة الذين يحبونها بالصندوق هم أرقى منا سفاهة ولا مؤاخذه وهذه الطبقة من حضرات التجار الذين جادت عليهم الأيام بأرباح طائلة فلم يحفظوها لتكون رصيماً للكوارث التى تصيب التجارة من خسارة وديون بل تجدهم فى سكرة واحدة يصرفون مبلغاً غير قليل أما الزكاة التى أوجبها الله عليهم ليعطوه للفقراء والمساكين فلا يطلع الواحد منهم منها مليماً واحداً ولذلك تضرب الواحد خسارة تلقاه يقدم الدفاتر لأن الزكاة تحفظ الأموال من الضياع ولنعود إلى مجلسنا والحبايب فى ساعة اليسر فقط أما عند الفليس فلا لكن على كل حال إلى الآن معنا نقدية كفاية تمكنتنا من مصادمة جميع الطلبات وما زالت العيون تنظر إلينا بكل احترام وبعد أن كان الغنا هرديسة قلنا أحسن كل واحد يجيب غنوة والباقي يشلوا أو يسمعوا فقر رأينا على أحد الجالسين فشرع يقول آه آه آه .

سفرت محيها وتركت عقولنا هميلة
من خمرة دلالة سكرانة مايحة شميلة
إن خطرت تيمس فوق الكفيل مسنده
فاقت في الجمال عزة وبثينة وهنده
الدرعة أم رشوم من غير شكر مشكورة
سناها أصفى من لبن البكار وفي الكورة
الرشرش سبل في خده زاول لينا
الروية المبرعة للفنايد لين
صباح النور على غزلان تلك الناحية
قتالات عيونها الرامية كالمستحية
في حب أم رشوم بشرح كتاب الإحيا
قسماً بلبقيع والطايفين والوحيا
مازت تزدري كالشمس عند ضحاها
باهت لأهل إليها بيهاها
لا تخوض البحر يا خلى لاتساها
كم دهشت عقول للواجبات أنساها

وقال أيضاً الغنوة الآتية :

قويت قلبي دقيت بابه بيمناي
وقالت من أين أتيت يمكن رشيت منايا
تلك الساعة أسقيك بكأس منايا
مفدوعة الوريد أم جيهة لمعاها
واشرب قهوته الفنجانة يرى العاهة
خسائل طيبة كيف جامعها
قصدي يا خلى جمعة معاها

شبه الفى الخيام مصيده داجة نفورة	وبالسبعة المثانى أم زين دوام مغفورة
قامت بعجل جابت تقروبة فاق كافورة	من المحمودى والخيزى القديم مضفورة
الدادة المطيعة اللى كلام سميعة	وخلى جابت عدة شاذليها جميعة
جلست وأقبلت لصقلها وتلميعة	أنا من السرور ودموعى زاد تجميعة
شغل أم ريد طلع محكوم وما هو مبدد	ومنقد من نحاس يشبه قلبى مقدد
زى العاج مدور ما نكسر واجدد	مودق حلبة صافى أديم وكله مخضدد
فيه ثلاثة جمرات زى عيون الشالع	ومن فحم الصنوبر ما انخفض متوالع
هبت أم رشوم خاتيات علا لا طالع	بهبابة من ريش نعام هضالم هارع
دقت بنتها وختت فى شقوق تبرى	دق شيخ بابكر خاتى الطفق والتبرى
مسكت بشمالها اللى السقام هى بتبرى	ودى أم ناراً مسلطة لى عضاي هى بتبرى
ختت فى الشقوق وامترج بالنار	ومن حر أم لهيب أحي أنا وآنارى
لو سمع بك عامر الدينارى	كان حاتم وأسلم ولا بس الزنارى
جابت الدادة لأم حداقة كبوتة	وكلها من امتن غش قمح منبوتة
تجلى شفتها المنصوبة كالتابوتة	من دار فورشف المرم صحيح مثبتة

فلما فرغ المغنى من أغانيه شكرنا له هذا الصنيع وبعد استراحة قليلة وقع الاتيار على واحدة من الجالسات بأن تقول غنة من أغانى الطرب فشرعت تقول ما يأتى :

عبينا السفر لى وين	والزول صبى العين	يا حبانى بايت وين
شدلوا البدير	وقليلوا الجوع غير	يا حبانى بايت وين
وياد معى البصب سيال	ياباسيدر يدى وين قيل	يا حبانى بايت وين
يرسل ليك المرسال	مع مرجان الخزن دار	تلقاه وسط الخدار

قبل السنط الطوال أصفر صافى الجمار إنت ريقك صافى الزلال
وكرر إنت ريقك صافى الزلال . ويا حبانى بايت وين

وفى الأخير قول:

بتغنى ليك الجيدى وأتسف ليك القرقدى وأدعنه للبنى
عودة سلامة يا تجار مدنى وكرر عودة سلامة يا تجار مدنى

وفى الأخير قول: ويا حبانى بايت وين

ويا خاتمى المع الحباس خاتك لى حراس والفتوتا يا جلاس
نحن اليوم سكرنا خلاص ونحن اليوم وذرنا خلاص

ولما كررت هذا البيت الأخير صحيح ودرنا خلاص حتى فقدنا الشعر
واختلى توازن المجلس وأصبح كل واحد منا ينقط بما عنده من القروش للغناية
فى الجبهة مرة بالريالات ومرة بالورق اللخدر وهى تعجبك فى لم هذه النقوط
لأن بنات الناس الواحدة إن شربت العرقى الفى البلد كله ما (تروة) أما أولاد
أم. الواحد منهم الكاس والثانى يفرغ جيبه بدون كلام وأخيراً بدون مطرود يا
ود الاس أنحن دايرن ننوم وإذا قال كانى ولا مانى يبقى يستعد للبرطوش
المنقل وبعد الدقة يرموه برا لحوش بعض الظلظ والدوراب وهذا من الدروس
البليغة التى تليق بكل من يطرق هذه البيوت ويخالف الحى الذى لا يموت
ولنرجع إلى الحالة التى تركتتا فيها هذه المغنية من هوش (لبوش) لتشتيت
قروش واليطق مركوبه بالواطة ما تشفو والبتعز ما تعرفو والنصح فينا يجى
يكب العرقى فى خشم الكباية يقلبها بقعرها والرقيص بقى بالحقو والرحط أب
دواير والحديث بقى كتر الواحد مننا يجى يقول للثانى أمسك يقل ليه . . .
أمك يا ود أم . . . وإذا كنا بهذه الحالة فمن الضرورى تحصل شمطة أو سوء

تفاهم بين الجالسين وقد كان المحذور وقع فقد سل أحد السكاراة السكين
وخلنا نسوى فى البيت ديرة ديرة والدخل تحت العنقريب والنطة بالشباك ما
بتخبروا وخلينا زولك فى وسط البيت مثل (التور) الهايش وقنب يقول والله
الليلة يا أولاد أم. . . كان مسكت واحد فيكم ألا أخلى مصارينه سبج أنا
الشافوا (أبوه) الراجل فيكم ينط العتبه دى أجى داخل كما أخلى بكايته تنوح
للحول لكن يقدر واحد مننا يقرب عليه كضاب وبدع ألف حيلة وحيلة
ضربناه ورمينا السكين من إيده والتور إن وقع يكترن سكاكينه وبعد الكركبة
السواها كتفناه على العنقريب خوفاً من تمثيل الرواية تانى ولكن شكل السكاراة
زى نار الغش وكتين تمسك فى (لقطاطى) وتكون السهوب هاب تموت فى دى
تمسك الثانية وقد حصل فقد اشتبك أحد الجنيات (الطاعمين) مع ست البيت
بسبب كلام بسيط لأن السكاراة زى صفيحة (البنزين) ألف واحدة تولعها
كبريته وبعد المعركة التى سلاحها البراطش فرقنا بينهما وقعد كل واحد فى
مكانه قصاد الآخر (وفصل) فى الردحى الذى لا أتذكر منه إلا القليل وإليك
بعضها منه فقد قال الجن للعكرونة بعد أخذ ورد فى النبذ الليلة الدرتهأ معاى
بتلقياها حس اقعد ليك فى الدفيس ووريك كلام إبليس شن بتقولى معاى
يالوسخانة يالرمدانة أنا نديك ولا قدرك ولا من أقرانك يا مايلة يالمتهايلة يا
حفرة ود دلوك يأم قرباباً شاله الشوك هى يكى خلائق الله يشتتوا والناس
يلقطوا (آخ) توفيا يا ويسخ يا ضبان إنفسخ جرت وأحات أبوى - أضف إلى
ذلك الصفقة وتقليب العيون التى تبرق إلى أعلى وأسفل وليس هذا غريب من
عيون نبض ماؤها فلما سمعت نبذ الجن ردت عليه بقولها.

شن بتقول يالهورية أم قد أنا إن كان أنبذك أبقى متلك يا. . . وسكتت
فلما سمعت كلامها قلت بقلبى صدقتى أنت مرة والنسوان محل (العيب) X

وإن كنت تستحقى عذاب الله بهذه الأفعال المشينة ولكن الكلام كلام الا نخلق
 راجل وأصبح أنتاية مع هذا لا يرضى أن تكون هذه الفعلة القبيحة بينه وبين
 الله فى الخفاء ويكون حافظاً لمظاهر الرجولية مكتسباً من الأعمال والمهن
 الشريفة لا من بيت الخبث والفجور فبدل أن تختفى هذه النفوس فى آخر
 طبقة من طبقات الأرض كالحشرات الصغيرة تجدها تظهر فى السُّبُل
 والمجتمعات ولكنها بأثواب تكاد ترى أجسامهم منها وإذا نظرت إليها مستفظعاً
 مناظرها القبيحة قالت لك (بتعاين) لى مالك بتدور شن وربما نبذتك بما
 تتصف به من الصفات الدنيئة (ودا) المرض الغلب الطيب وحير اللييب ولنعد
 إلى الشكلة وخبرها فإننا عملنا ما فى وسعنا ومرقناه برا ومن الضرورى أن
 نظام السكره قد اتبهدل بسبب الزعل وقفت الكسات عن الدوران إلى هاهنا
 لكن الجزالين قد أصبحت قاعاً صفصفاً لا فيها فضة ولا ذهب ولا ورق لأن
 النقود تقعد عند الحافظين لها أما من يصرفها فى غير محلها تمر على يديه مر
 الكرام ويصبح يأكل أصابعه من الندم ولكن أهل العقول فى راحة وغايته
 أصبحت جيوبنا أنصف من الجلايب المكوية وما علينا إلا مفادرة البيت الذى
 نحن فيه لأنك مهما صرفت فى مثل هذه البيوت (وغنوا) ليك بقولهم سنن
 البرامكة قبيل (يابابا) أحييت وأنت تظن أنك منهم وتبعثر الدراهم العزيزة التى
 هى م نعم مولاك متى ما فرغت جيوبك وجلست صفر اليدين يجب عليك
 أن تبارح الدار فى ظرف أربعة وعشرين دقيقة وألا يطلعوك (بالماشة) والأحسن
 نخرج بنورتنا ويعد تسييف العبايات والقفاطين والعمم والطواقى من التراب
 لأن السكران نصه فى العنقريب ونصه الثانى فى (وطاة) الله وعلاوة على دفع
 حق الخمرة وحق . . . يدفع حق صابون ومكوة ويمشى فى بيت أمه ينفسل
 (بالليفة) والماء بر وجوه حتى ينصف من هذه النجاسة وبالزايذ غضب من الله

وعذاب أليم وفعلنا خرجنا وكل واحد منا ذهب إلى منزله ومن الجوع قلت لهم املوا لى كسرة (مره) بالملح والشططة وهذا كله فى صباح اليوم الثانى أما فى اليوم الأول فإنى نمت بالهدوم من شدة السكره ولما راحت السكره وجاءت الفكرة تذكرت الودرت فى ليلة أم بارح ندمت ولكن حيث لا ينفع الندم ومن فرط . . . فكان التفكير قبل الآن أما بعد أن ذهبت القريشات أدراج الرياح فإذا تكون النتيجة إلا التحسر وضرب البوف والسيجارة ورا السيجارة إن الإنسان مهما اتسعت أرزاقه لا يمكن أن تفى بمثل هذه العريضة التى قد يصرف فيها الكبير مبلغاً ليس يسر فى بضع أيام بل فى ساعات تمر عليه مر السحاب ولا يحسب لهذا المال أقل حساب كأن أبائه وأجداده عندهم الورق بالقفة والريالات بالشوال ومتى خرج وضربته الهبوب عقله الكان رايع يرجع تانى فإذا لم تجود عليه الأيام بقدر يراه كافي لإعادة الكرة يسخط على الزمان والمكان بل على السموات التى لم تجود عليه بمطر غزير من الدراهم والدنانير وعلى الأرض التى لم تبدل الحصاص أحجاراً كريمة ليصرفها فى المrise أو فى أم بابل أو فى الدكاي أو فى الزبيب أو فى الكنيالك هذا إذا كان من الأولاد الراقين لأن الرقى فى العصر الحاضر أن يكون الواحد متفتياً فى جميع أنواع الملزات ولكن بالحرام بل يكون فى حاملى الشهادة الكبرى من أقرانه بأنه يشرب حتى يجروه من أشنابه من محلات الحمرة بل يرقى ويتمادى فى الرقى إلى أن يصل إلى شرب الكمنقة أو البنقو كما يقولون وإلى شرب الحشيش أو إلى شرب القراویش أو الأفيون أو المنزول أو إلى غير ذلك من السموم القتالة التى تكون سبباً فى موته بل كيف يكون لهؤلاء الصبيان عقل وقد هدمت هذه المصائب صحتهم وأذهبت تفكيرهم فإذا بلغ الواحد منهم سن الرجولية فلا تراهم إلا بوجوه شاحبة وصحة ضعيفة لأن دم الشببا الجيد قد صرفوه فى

بيوت الدعارة غير مبالين بما يصيب الإنسان في حالة الكبر فإذا نظرت إلى الرجال الذين نسمهم الناس القدام فإن تجدهم أحسن صحة من الجنيات الصغار لأنهم في حالة الصغر لم يتعاطوا شيئاً من السموم المتقدمة فالعقل خير له أن يصرف الدرهم والدينار الذي يكتسبه في ما يعود عليه بالنفع لا فيما يضر ولا ينفع فيجد أن حياته سعيدة ولا يرى كدرًا من الأكدار في سير أعماله سواء كانت تجارة أو غيرها وإلى هنا تم الحديث السابع عن سكر أولاد البلد ويليه الحديث الثامن عن المراكبية.

الحديث الثامن عن المراكبية

حدثنا على قال قد أخبرتك عن سكر أولاد البلد وكيف جمعنا الوقت في مكان واحد وقُدر لنا أن صرفنا جميع ما نملك حتى أصبحنا لا نجد في جيوبنا (خمسة فضة) فماذا يصنع الإنسان الذي يعطيه الله نعمة فلم يحافظ عليها والمحافظة عليها هي صرفها في ما يعود على الشخص بالنفع من أكل وشرب ومسكن وعلى الأهل والأولاد وفي غير ذلك من الواجبات التي تحيط بالإنسان سواء كانت هذه الواجبات دنية أو دنيوية لكن نحن لم نصرفها في شيء من ذلك بل بعثناها في الخمج والطرطشة وقعد الواحد فينا حانف وجبهة فضاقت البلد على بما رحبت واليقول لى السلام عليكم يا فلان أقول ليه... أمك ومنشأ سوء الأخلاق من نضافة الجيب وقال عليه الصلاة والسلام (كاد الفقر أن يكون كفرًا) فإذا يجب على أن أتخلص بالبحث على عمل ولكن جميع الأعمال تحتاج إلى الفلوس سواء كانت تجارة أو صناعة أو تعليم أو غير ذلك من الأشغال التي يمكن أن يتحصل الإنسان منها رزقه فيما بعد وفي البلد التي أنا فيها مقيم لا أرضى بأن أشتغل في مهنة أراها غير لائقة بمن ضيع ماله في بيوت (نحن اليوم سكرنا خلاص) فما كان منى إلا أن

بحث كثيرًا حتى دلتني المقادير على ريس صاحب مركب وبعد أخذ ورد اتفقنا على تشغيلي كتواتي ورضيت بهذه المهنة وإن كانت قدرة لأن ما معندي حق (البابور) وفي اليوم المحدد للسفر لميت هديمتي في جراب صغير كان معي من آثار البادية الله يطراك بالخير ولما جاء العصر كانت المركب على تمام الاعداد وفي الحال شلنا الهليب بتاع المركب وطلع فارها الولد الصغير وحل الشراع ونزل زى السلام عليكم ورفعنا السقالة وقالت كدى المركب حلت باسم الله مجراها وكانت مليانة عيش وسيده راكيب فيها وكان الريح بلحيل سمح ومشت في الليلة مشياً زين ولم نحوجنا لى جر اللوبان ونحن جالسين للونسة وأم العول زديها وملحها وسوى القراصة تخينة والملاح ما ترققيه والعصيدة سوها قوية الله يخربك وكل الكل من عيش الراجل التاجر لأن المراكبي الواحد يمكن في اليوم يأكل الأردب فلما رأى الراجل صاحب العيش ما حل به غضب وهرج زين ولكن مين يسمع ومين يقرا وأم العول ما زالت تشيل وتعطين في الخمارة من عيش صاحبنا وولد المرحاكة بهذ المركب من شدة الطحين والصاج لهبة النار تجيب الضهبان ولقمة المراكبي زى راس العتوت وملحى وزيدى وتنخيتها والرجل كاد يرمى نفسه فى البحر من خمج النواة ولما نظرت إلى حال الراجل قلت له قرب على يا ود الراجل وحدثته فى أضافته وقلت ليه أتقل فى الدرفة النواته دليل يمكن الواحد يسلم سكانية المركب ويخليها تغرق والواحد يعوم زى السلام عليكم يمرق فى خشم البحر وأنا وأنت نقعد نقول يابو مروة والمال تلتو ولا كتلتو فلما سمع حدثى برد شوية وأخيراً دس إيدى فى القدح معنا ويقى يقول لام العول ملحى وزيدى واللحم مالو قوى والبصلة حرقتها ونحن وأم العول فى صبقا والقراصة من ناره لى حجاره إلى أن شبعنا لكن بعد حين من الدهر وقمنا وغسلنا أيدينا وكان الريح شرقى والمركب فى أحسن حالات السير لكن أخذت تقترب من

القيف وأخذت قطاطى الحلة تنشاف شيئاً فشيئاً وأخيراً أخذ النواتى الحبل ووقع البحر وأخذ التانى الهلب (وجبلق) رماه فى البحر والوتت إندقه فى البر والسقالة إنخست وطلع النواتية الواحد بعد الواحد حتى الريس فأخذ الرجل التاجر صاحب العيش يهرج ويكورك ووين ماشين وأنا لاحق السوق ما ضرونا يا جماعة لكن لقد اسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادى فقال له النواتية نحن حس جاين يا زول أصبرخت الرحمان فى قلبك بس فى شغلة صغيرة فى الحلة تقضاها ونجى فلما سمعت كلامهم صدقت أنهم راجعون عن قرب فقلت لهم اصبروا وأنا ماشى معاكم وقصدت فى الذهب معهم أن أتفرج على هذه الحلة لكن ظهر لى فيما بعد أن النواتى يشم المريسة مسيرة عام ومراكبهم زى حمير الحمازه إذا ركبته ما يلبس أن يقف بك على باب من بيوت الدعارة وقد كان فقد ألفت مركبهم مراسيها فى هذه الناحية وخرجوا لشربها لأنهم أفسق مخلوق دب على وجه البسيطة ولا أطيل عليك حدثنى ذهبت معهم إلى المكان الذى توجد فيها (البقنية) وبعد سلام عليك منهم وحباب الريس منها دخلنا فى قطية خشمها صغير تدنقر راسك حتى تدخل وبعد الجلوس دخلت علينا برام المريسة الواحدة بعد الواحدة وشوية السكره عمرت ودار الكاس وشوية الدهلة ضربت وبعدها الدلوكة والبيعرض والبهز ما بتخبير وأخيراً بعد أن سكرنا خلاص أخذنا نتسربق الواحد وراء الواحد والكديس يعرف اللحم الفى المشلييب ولا يدخل برج الحمام فإن سرق الليلة وفات باكر بتقبض لأن صاحب الحمام يكج ليه الشرك ويخت فيه اللحمه المحمرة وريحتها تجيبه من آخر البلد ويجى (داود) يتلبد براحة يحسب الدار ما فيها رجال ودخلت وككرب الشرك ينقفل ويطير عويناته ويجى صاحب الشرك ومعاه الشوال ويفتح الباب وبعد غمزة غمزتين يجى الكديس طالع يحسب الباب مفتوح فيدخل فى الشوال وبعدين سيد الحمام يقضفه

الأكل كله هذه الحالة تمثل تماماً الرجال الذين يشربون الخمر حتى يبقى الواحد فيهم لا يعرف الدرب فبدل يربط نفسه على العنقريب بحبل يقوم بمسك درب النمل لما يقع في خشة اللسد ويمكن الأسد خرج لقرض من الأقرض ويكون في البيت (مرته) فيقعد جمبها ولما يجي الأسد صاحبك ينطط عيوناته وسل السكين يعلم الرجل قد لقطية ونط الحيطه وطحين العجين والرقيص بالرحط وأنا ولية وغير ذلك من الآداب التي تليق بكل رجل خثيث النفس يحسن له الشيطان طرق الأماكن المحصنة لنسوان الرجال وحالة الكديس قد حصلت لى تماماً فقد دخلت في خشة أسد مربعن وختت صلبى فى العنقريب الرجل فتح الزريبة وقصد القطية وأنا وست البيت النسويه ما عرفناه وبعد إنس وين ودسنى ويمكن فى تحت العنقريب يشوفنى استقر الرأى على أن أندس داخل (سباته) فى ركن البيت وقطعت النفسه ودخل عمك الراجل والعيون تقول جمرة النار الحمرة وبعد أن قعد فوق العنقريب سألها بقوله منوا الجاهنا فقالت أجي عاد من القاعد يجى وراك لكن الرجل عرف شيئاً من كلامها وفى تلك اللحظة تحصل منى حركة غير شعورية حتى سمع الراجل كشكشة البرش فسألها بقوله شن البكشكش فى جو البرش فقالت ليه الكديسة لكن فى البرش الكديسة أم كراعين أما أم أربعة كراعين فهى لم توجد وأخيراً حلف برأس أبيه لا يترك الكديسة ترقد جوا البرش لابد من طردها برأ وقام وقل البرش لقاء ما بنشال فعرف أن فى داخل الهناى (هناى) وشوية جر البرش لى فوق طلعت كراعين أخوك (على) لكن أين الوقوف من شدة الخوف والصايل يقتل فى عرف رجال النسوان وفى الحال سل السكين البتبرق فى عين الشمس وودأم... رقدت قرش ونص وأمرق ما تمرق حتى مرقت من السباته وما كضبت فى موتى صبحاً بالسكين لكن الراجل كان من عقلاء الناس فقال

لى أنا الليلة ما بضبحك يا ود أم . . . لكن بعلمك الأدب وكتين أبوك ما رباك
حتى أصبحت تعتدى على حرمان المتزوجين الحصينة ويقف لى بأم دلوم
ويقول لى أمك دارة رمانى أبحت وبجبل الدلو كتفة لما سد رى نطى وبعد أن
ملص الهدوم قعدنى فى بيت النمل وجاب السوط ودقت عدوك وبعدها قال
لى تانى تعال لبيوت الرجال فقلت له التوبة إلما بعدها عودة وهذه أقل دروس
للصبيان البدخلوا فى الحشان ويدوروا الفلتكان ويمكن يقع فى يد واحد راعى
عجلة يحلف بالطلاق ألا يخلى مصارينه جبل وقبل الضبح يسقيه الموية رى
كبش الضحية ويبقى زانى ومضبوح ويلاقى ربه بالجنازة وقضية لأهله بين
الناس وأما الزروه فيها فإن كان راجلها من عقلاء الناس يديها جبل الطلاق
وتمشى لبيت أبيه حانقة وشها وأمها تسألها شن جايك يا فلانة والجواب
الراجل بقى كعب وأمها تنتم من الزعل ويبجى اللبو فى المغرب يجدها فى
البيت وبعد سماع الحديث يذعل كمان ويبقى الأمر على ما ذكر إلى حين من
الدهر والراجل فى بيته والمرأة فى بيت أبيها والخبر يجنبه البدليات وفى تلك
الحالة اللبو يعزف كيف يمثل جريمة القتل أم عمتى سداً لتشرب الأخبار التى
تعد ماسة بالشرف وفى اليوم المحدود تجدهم قد قسوا البيت وضابروا العدة
وفى الصباح ماذا تسمع يا للهول والخبر المريع والأمر الفطيع فلانة ماتت
والكوراك ضرب وشق الحلة وجوا الجيران والحبان والسكلى والردحى يملآن
البلد أما الأب الذى قد نفذ القدر المحتوم على يديه فلا ترى على وجهه
علامات المتحسر والمتحزن بل يتكلفها تكلفاً ويقابل التعذية ساخراً فهو كالأسد
الربض بعد أن قتل فريسته فهو ينسر من تخبطها فى دمائها ويلتزم من تجرعها
مرارة سكرات الموت وأن البنت التى تلوس شرف أهلها وذويها لجزاءها الموت
ليغسل بدمها الأغزار التى التصقت بأجسام ألها هذا كله حسن وجميل للغاية
وبارك الله فى الرجولية والغيرة وأكثر الله من الرجال الغيورين على نساتهم

ولكن هذا يترك الأخبار فى طى الخفاء ونسيًا منسى أليس فى بيت البكاء
تسمع هى بإيعة البارح أتعشت ونامت وفى الليل جاها عزرائين سلام الله عليه
ولا عزائين إلا عمك أبو شنين والأحسن من تمثيل هذه الجريكة والوقع دقة
حببية الصباح وزيانة الرأس وشهرين ثلاثة فى التكل مع بخيئة فى نار الدوكة
والكتوش حتى تتوب وترجع عن غيرها وتعرف أنها كانت فى جنة وخرجت
منها وأن بخيئة تتعب وتتحرق فى هذه النار من زمن طويل فالأحسن ترتاح
شوية هذه القصة ليس المراد منها أنها تقع فى بيوت الرجال الذين يقيمون مع
زوجاتهم وإنما المراد منها حالة العرسان الذين يتركون زوجاتهم بالسنين الطويلة
وربما فى يوم الأربعين رفع طرف توبه فى خشم وجرى على المحطة وشوفة
الطريفى لى جملة فماذا تفعل الزوجة الشابة السمحة أم شلوخ الفزرة أم
عارضًا يحبس الدموع وأم جبينًا يخفى الشمع المابتشوف عتبة الباب أليس
للنساء شهوات كشهوات الرجال جعلها الله فيهن أليس الشيطان يرميهن فى
حباله كما يرمى الرجال الذين قد يكون الواحد منهم له بدل المرأة الواحدة
أربعة وبرضك تجده يزنى لا خوفًا من الله ولا حياءً من الناس فماذا تفعل
المرأة الشابة العروسة التى تهجر فى بيتها بالشهور العديدة بل بالسنين وأغرب
من ذلك كله أصبحنا أمام مشكلة جديدة فإنك تجد الواحد عنده زوجة ترمى
فى (الشوك) وتلقاه مع العيال الذين أعمارهم بين عشرة سنين وخمسة عشرة
سنة وأطول ما فيهم يجيه لحد ركبيه ويعوض الله على أمهات البنات وأن
جعلنا الحوش تسعة أضرع ولا عشرة أضرع الواحد إيده فى قلبه ويا ساتر من
(ولادة) هذا الزمن فإنها أصبحت زى ولادة التمساح فإنه يلد مية واحد يطلع
تمساح والتسعة وتسعين يطلع كل واحد منهم ورل ولا تسأم أيها القارئ الكريم
فإننا قد أطلنا عليك الحديث ولنعد بك إلى المراكبية فإننا بعد تجمعنا فى خارج

الحلة ذهبنا إليها وقد نفذ صبر الرجل التاجر لأنه قد تعطل عن إدراك البلد
التي يقصدها لأن النواة كثيراً ما يعطلون مصالح الناس بمثل هذه الأفعال
فحللنا الحبال من الأوتاد رفعا الهلب وسقالة وطلع الولد الصغير فار المركب
وحل الشراع وأخذت بعد أن لذناها بالمدرة والضحور تسير إلى وسط البحر ثم
عدل الريس الدفة فأخذت تمشى عديل والهواء كان مساعداً وبعد سفر ليلة
كاملة وصلنا إلى قرب البلدة التي يقصدها التاجر ثم أخذت المركب تقترب
نحو الشاطئ وبعد قليل من الزمن وقفت على الحجرة ومدت السقالة وقبل
الخروج ودعت أصحاب المركب وشكرتهم على هذا المعروف ثم توجهت من
حلة إلى حلة حتى حطت رحالي بجهة يقال لها (أم سنط) ونزلت عند أحد
الأهالي فأكرمني غاية الإكرام فمكثت عنده عدة أيام وفي هذه المدة بحثت لى
عن عمل لأن الإنسان إن كان نازل عند أحد ضيفاً وهو قادر على الشغل
والاكتساب فالواجب عليه أن يسعى ويكتسب رزقه بالجهد والاجتهاد لأن
الإنسان وإن كان يجب عليه أن يكرم ضيفه إذا نزل بساحته كذلك الواجب
على الضيف أن يرحل ولا يكون من الثقل وأنا فى أثناء بحثى وجدت كثيراً
من الناس يخرجون إلى (الضهرة) ولما سألت عن سبب الخروج أخبرونى بأن
أؤان الخريف قرب فخرجت معهم إلى البلاد لعلى أجد لى عملاً أكتسب منه
رزقى لأن طلب الرزق واجب على كل إنسان ومن عادة أهالى البلاد أنهم قبل
نزول الخريف يخرجون إلى مكان زراعة العيش وكل صاحب أرض يحفر
أرضه ويسند الترس خوفاً من ودار موية المطر ساكت بلاش وأجرة الجدعة
الواحدة بعشرة قروش وهذه الأجرة عن الحفر والسند فكنت أشتغل فى هذا
العمل بجد ونشاط حتى أصبح كل واحد من أصحاب البلد يدورنى أشتغل
معه ومن أخذ الأجرة حساب الله بالعمل فالإنسان إذا أسند إليه عمل من
الأعمال وكان يأخذ عن هذا العمل أجرة فالواجب عليه أن يقوم بهذا العمل

بنية خالصة سواء كان هذا العمل صناعة أو زراعة أو تجارة أم أى شىء من الأشياء التى يقوم بها الناس بإنجازها لبعضهم بعضاً فكنت أنا سخرى ونبتى بيضة ماها سودة فلذلك لا تجدىنى قاعد ساكت بدون شغلة بل فى جميع الأيام كنت أشتغل لكن فى يوم الجمعة كنت أبطل وأغسل هدومى وأتبرد بالليفة والصابون لأن الحكماء قالوا جلد (الزول) فيه قدود أكان ما أتبرد فى كل جمعة على الأقل بالليفة والصابون وارتاح شوية جو الدانقة بتجيه (الوردة) فالإنسان العاقل يجب عليه أن يسمع نصائح الأطباء الصحية لأجل أن يحافظ على سلامة جسمه من الأمراض لأن العافية رأس مال الإنسان كما أنى كنت أذهب إلى الجامع لأداء صلاة الجمعة لأنها واجبة على كل مسلم وبعد الخروج من المسجد أذهب إلى البيت للغداء ثم أخذ رقيده إلى صلاة العصر وبعدها أخرج لزيارة الأهل والإخوان والمرضى والأصحاء منهم وفى يوم السبت أعود إلى عملى فى غاية النشاط وبعد أن خلصنا من حفر البلاد وصبرنا يومين ثلاثة قالت ليك المطرة أمسك (جو) ثلاثة أيام ما بتقف الليل ولا النهار والمال جليل بيته من بدرى يخت البرش ولا الفروة فى راسه والحطب أبت تمسك فوقه النار والسبلوكة أنقدت وشتنت الخريف أنت خابرها فلا أطيل عليك الحديث وفى هذه الأيام تظهر مكارم الأخلاق والراجل العاقل من الهبيل وتقدر تفتح جدول على جارك (الطورية تاكل راسك) وإن كان بيتك داير يقع وهل سمع الجيران الحديث النبوى الشريف (أوصانى ربي بالجار حتى ظننته أنه يرثنى) أليس الجار أولى بالشفعة كما أنه أولى بالمنفعة وهل فى منفعة أحسن للجار من (أن يمرق مويته) بالمكان الواطى من بيت أخيه المسلم ومن فرج على أخيه المسلم كربة فرج الله عليه ألف كربة ويا ناس حرام عليكم ولا تنسوا الفضل بينكم والمطرة بتروح وتبقى الوجسوه وبعد أن وقفت المطرة قعدنا ثلاثة أيام لم نخرج إلى الزراعة لأن البلاد ما بتحمل الكراع والطين الللك

للركبة وبعد ثلاثة أيام أخذ كل واحد منا سلوكة وروح البلاد للزراعة فى
 الصباح بدرى لأن الواجب على كل صاحب عمل أن يقوم إلى عمله من
 بدرى (والبدرى فازوا) وأجرة السلوكة الواحدة للمتربى عشرون قرشاً وماسك
 السلوكة الشاطر يفوت البرمى التراب ويزرع الجدعة فى يومه (واللفس)
 البتقلبه نص الجدعة ما يزرعها ويجى فى آخر النهار يقول لسيد البلاد أدينى
 الأجرة مثل فلان والكسلان أخير منه النسوان الفى الحشان وحضر الغداء
 وتعالوا يا صبيان العصيدة (اللقمة) واقفة مثل الجبل وملاح الشرموط زى موية
 المطر ودا الشغل البيجيب الوردة ويوجع البطن ويخلى الواحد بطنه كبيرة
 وصلبه صغير وأخير يكون الأكل نضيف والشغل كثيراً وأضف منه وحضرن
 الأكل وغابن العقول وخابورى وحابورك وصبق صبق والعصيدة حارة واللى
 إيده رهيغه يحرس الدوكة وجبال الكحل تفنيها المراويد الرقيقة والقده
 المديب المتل الجبل تهد الصغار فقد اندكى ذلك الجبل الشامخ
 وأصبح أثراً بعد عين وانفض من حول القده أبو خروس الجالسون والتقى
 يصلى الضهر ويأخذلوا إنمطاحة شوية وبعدها رجعنا تانى للزراعة وما كدنا
 نخلص من البلاد التى تكون السلوكة فيها بالأجرة إلا سمعنا الكوراك والخبر
 فشرعت أسأل الجمبى فقال لى خليفة سيدى داير المزارعين بسلا لكن يجوا
 يزرعوا بلاد سيدى الشريف فكنت أنا أول من روح إلى بلاد الشريف
 وسلكتى فوق كتفى وكل واحد من المزارعين جاب سلوكته وجاء وقلنا باسم
 الله ياهل البيت الحقيقين الذين على سنة سيد المرسلين وهاك وصبق صبق
 السلوكة وبين الواحدة ومتربيها مسافة ويعجبوك إخوان فاطنة فى المرؤة حتى
 إذا كان الظهر خلىنا الزراعة وروحنا إلى الضل راجين الغداء وبعد جات
 القداحة الفيه اللقمة لكن الملاح (خدره) ما فيها (شرموط البقر) مع العلم أن
 أصغر المزارعين الذين يأجرون الناس باليومية وأفقرهم يغدونهم بملاح

الشرموط أما سيدى الشريف البشغل أولاد الناس بالبركة كثير عليه ملاح
 الويكة بالشرموط ولو يظن القارئ أن الأرض التى يكلف الناس (سيدى
 الشريف) بزراعتها جدعة ولا اثنين لكان الأمر سهلاً والبطن ما فيها وجعة
 لكن الأرض التى يسخر خلق الله فى زراعتها على أقل تقدير بالعد والحساب
 والضبط أربعمائة جدعة وهذا غير الحبل والحبلين والنهاية هاك هاك طب
 زرعناها كلها ثم ذهب المزارعون إلى بلادهم أما أنا فقال لى الخليفة دائماً تعال
 أخدم بلاد سيدى الشريف ونحن نكلم سيدى يدىك البركة فلما سمعت البركة
 أضنىنى رقصن وظننت أن البركة أجرة أكثر من الأجرة المعروفة عند المزارعين
 وصرت من هذا اليوم أكوس الخدمة بره لكن فى يوم خدمة الشريف أجي
 قبال كل واحد وفى بعض الأوقات أضرب الكوراك وألم المزارعين لخدمة أبى
 البركات وبعد خلاص الزراعة وبعد أيام بقى العيش شوكة وبعدها أضان فار
 وبعدها سوا سيو وفى هذه الحالة جاء زمن الحش وكل مزارع يأجر الأنفار
 البحشو بلاده أما سيدى الشريف الأربعمائة جدعة لا يأجر ولا حاجة بس
 الكوراك والبركة تحش البلاد الطويلة العريضة وقد كان حشناها إلى أخيرها
 وبعد انتهاء زمن الحش ويومين ثلاثة العيش بقى جداد وبعدها صقور وبعدها
 لتيية وبعدها حملة وبعدها زرع الفص وبعد شرابة وبعد لبنة وبعد فريك وبعد
 قساوه وفى هذه الحالة الماعنده عيش يأكل من بلاده وبعدها جاء زمن قطع
 العيش والعمل بالأجرة إلا بلاد سيدى الشريف والعادة إياها والشغل بالبركة
 والله الحمد واشتغلت فى دق العيش وكلكوم مقطوع يسمى دب وفى هذه
 الأيام تكثر الوردة والأمراض وهى فى هذه الحالة يجيب سيدى الشريف
 حبوب من البركات يسقيها المرضانين الذين أمرضهم بهذه السخرة بتخدمهم
 فى الأربعمائة جدعة وبعد قطع العيش نقلناه فوق الحمير بالراوية إلى التقى

بعد رصعها بالمعاونة من الجيران فى البلدات واشتغلت بعد ذلك فى دق العيش وأجرة الرحل ثلاثون قرشاً والرحل فيه أربعة أرباب وبعد ذلك نقلناه فوق الجمال إلى المطامير والأجرة للأردب الواحد قرش ونص وبعد هذه الأيام انقضت اشتغلت فى سكب القصب المية كليفة أجرتها سبعة قروش ونص سكب ونقل وبعد ذلك وديناه فوق زريبة الشوك ومن هنا قد انتهى العمل فى البلاد والكسلان قعد (للعب الطاب) ودك تلى ويومين والمقلّة والسيجة وكلبي وكلبك وحمار وصنج وإن داير أقل حاجة من السوق يفتح المظمورة يشيل ليه أردباً ولا نص أردب يقضى به القرض الدايه وإن دارت المرة فركنة طلقنى السجم كال خشمه لما هذا الخمول والكسل والواحد صبي يعجر التماسح من البحر يبقى شغلته من ضل ضحى لضل صباح أليس من العقل والرجولية أن يشتغل الإنسان فى أى عمل كان ويلم ليه قرشين ثلاثة والراجل يضوى بيت أمه واللفس ينوم فى الليل ويسكر بالنهار ولا أطيل عليك الحديث التثييط ينزل الجروف ويزرع البنضورة واللوية العدسى واللوية العفن والبطيخ والشمام والقرع والعجور والخيار والدخن وللوية البيضة ثم الفاصولية والكركية والعنكوليب والبامية وغير ذلك من الأشياء البتجيب القروش وبعد لم العيش ودفنه فى المطامير أو قبله يجوا العشام مداح وفقراء وبعد الانتهاء من هؤلاء يجى سيدى الشريف لجمع الزكاة وكنت أظن أن سيدى الشريف يكتفى بسخرة الناس فى الأربعمائه جدعة لكن الغنى من القناعة والزكاة التى فرضها الله إانة مالية على الناس للفقراء والمساكين وفك الأرقاء من ذكور وأناث من زل الرق والعبودية إلى نور الحرية والقيام بعبادة الله مثل الأحرار هذه الزكاة تعطى لسيدى الشريف وأمثاله من الأغنياء أما حبوباتك العجائز وأبهاتك الذين انحنت ظهورهم من الكبر فليموتوا جوعاً ولتترك الأيتام الصغار الذين

لا يجدون لقمة الكسرة فى الشوارع والطرق ويتعلم كل واحد منهم كيف يسرق وينط الحيطه ويسلب النسوان ويخليك الحرامى تحبى تعدل توبك يفع من صلبك وبعدين تحصل البركة أن الزكاة شرعاً لا يجوز إعطاءها للأغنياء وهل اليوم يوجد أغنى من سيدى الشريف وأمثاله من أبواب الطرق والعقائد الذين ما تركوا درهماً ولا ديناراً إلا جمعوه باسم الزيارات والتبركات حتى لم ترتض نفوسهم الكريمة العالية أن تترك زكاة فى حلة أو بلد لفقير ولا لمسكين من الناس لكن أستغفر الله العظيم أن الذهب والفضة وأوراق البنك توت يكفون بها وتدق من الذهب والفضة الطوب بتاع (ود اللحد) ولا هناك رب يسألهم بعد المات عن جميع أعمالهم ما ظهر منها وما بطن لأنهم رسل مكرم وملائكة مقربون لم لا تجوع الناس فتمرض وتمرض فتموت لأنهم لا يجدون الكسرة والدواء وجميع ما يملكونه يذهب لأمثاله تارة بالزكاة وتارة ثمناً للخلافات والزيارات وما شاكلها من الحيل التى تذرعون بها لأكل أموال خلق الله وهم يعلمون إن الإسلام لبرىء من ما يصنعون وإن كانوا يدعون بوجود شىء فى كتاب ربك أو سنة نبيك يجيز لهم أكل أموال الناس بالباطل فاليأتوا به إن كانوا يجدون لكنهم لم يجدوا ولن يجدوا إلا خير لهم إلى ربهم يرجعون ولا أطيل عليك كلامى فقد لس المزارعون عيشهم وما بقى إلا الزيارة والخليفة جمع الزكاة والفقراء والمساكين يأكلون حبال عنقريب الجلد ولنعود سنة ست وسنة عيش الهند وسنة (الأمبار) البخلى الرجال أبان دقون يشكلوا بدون سبب من المجاعة والبنات أمات نهود يقولن أدونا الكرامة لم لا تعود هذه الأشياء كلها ونحن نصرف جميع الدراهم التى أنعم الله بها علينا فى الزيارات والقطايف ولم لا يكون الواحد عربان وجعان وبيته خربان ومطالب بالديون لى رقبته وهل صاحب الدين يضر به يقطع جبل كلوته يا ناس اتقوا الله فى أنفسكم لعلكم ترحمون والكلام كثير لكن درب ما فى والنهاية جاء

يوم المشى لزيارة سيدى الشريف والجماعة الزيار حمارى وحمارك وحوش
واربط اللبب واعدل السرج واربط الضناب ودخل أضمان الحمار فى اللجام
وقام هذا الجيش الجرار الذى يحمل أخير درهم فى البلد بقيادة التقى الورع
جامع الزكاوات ومسخر الناس فى زراعة الأربعمئة جدعة فى البلدات الخراب
المخرب الذى ترك جميع الفقراء والمساكين جيع الذى لا يعرف من الإسلام
قرائض الوضوء ولا أركان الصلاة ولا سنة العمران ومثل هؤلاء إن استمروا
على هذه الحالة يخربوا الحلال والبلدان حمانا الله منهم وإياكم يا جيران من
هذا صاحب هذه الأوصاف الحميدة والسجايا الفريدة سيدى وخليفة سيدى
الشريف فلان ابن فلان وسار هذه الجيش العرمرم من حلة إلى حلة محفوقا
بالزغاريت وحلل الربيت والنسوان الماعندين وليان قربانى إنجل واصبرى
نربط وحطى ماشات يكوسن البركة أنجتمع البركة والحرام يا سادة يا كرام
والنسوان كلهن عريانات يزورن السادات أهالى البركات يا ناس فضحتونا
والفساد علمتونا وغاية استمر السير حتى وصلنا إلى (حثة) يقال لها (برى
اللماب) وإن أنسى كل شىء فى حياتى لا أنسى الرملة والرماضة الحارة المتل
النار فى تلك التلال والرمال وبعد أش وحاو وربط الحمير نزلنا نحن معاشر
الفقراء والمساكين الذين ليس لهم إلا دفع (صرر الزيارات) والجلوس فى
الخلوات أما الأغنيا فإنهم نزلوا فى الصراية لا لشىء سواء أنهم يدفعون دراهم
كثيرة وبعد أن ارتحنا من تعب السر قدمنا كشفاً ميين فيه جميع الهدايا
(والقطايف) وهى النذور وباليث أن يكتفى سيدى الشريف بهذه الأموال التى
لو كلفى بعدها وحصرها باش كاتب حسابات أكبر إدارة فى العالم لا يمكن
يعدها إلا فى مدة سنوات عديدة مع ملاحظة أن يكون نشيطاً فى الجرد وفى
العد فى أطراف الليل والنهار تظن أيها القارئ أن أبا البركات والنفحات يقنع
بأكل هذا المال بالباطل لا تظن لأنه يطلب منهم أن يدفعوا حق (الأحجية

والأوراق) لما لا يحجبهم وقد يكون هناك درهم باقى فى جيوبهم فيريد أن يحوه حتى يدخل فى خزائنه ويجتمع مع إخوانه السابقين لأن خزائنه كلما أولقى فيها درهم وقيل لها هل امتلئتى فتقول هل من مزيد وبعد أن جمع منا أخير درهم كان فى جيوبنا (وهذا بيت القصيد) من الزيارة أشرفت علينا أنواره فى ثوبه تواضعاً ليوهم الأغنياء أنه من المتقشفين الذين لا تغرهم الدنيا الفانية بل هم يرونها كالجفة القذرة التى لا تساوى شيئاً ومع ذلك باعوا الدين ورضاء الله واشتروا هذه الجيفة المتنتنة فهل هم رابحون كلا وألف كلا كيف يربح من يحتال على الفقراء المساكين ويخذ ثمره أتعابهم بغير الحق أيجوز شرعاً أيها المسلمون ولا أطيل عليك الحديث فقد حضر إلينا أحد خلفاء الشريف وعلمنا كيفية السجود والركوع لغير الله تعالى لأنه لا يعرف أن السجود والركوع هل هما كفر أم حرام وبناء على هذا التعليم ملصنا المراكيب وخلعنا العمم ودخلنا فوجدناه جالساً على سجادة على الأرض ولا بساً (ثوباً أم فكوا) ليعرفنا أنه متواضع لكن جمع الدراهم والدنانير هل هو من التواضع أم لا ثم تقدمنا واحداً بعد واحد حتى جاء دورى فسلمت عليه ثم رجعت إلى مكاني فجلست وأن أنسى كل شيء من تلك الزيارة لا أنسى ليابة راحة يد سيدى الشريف والظاهر أن هذه النعومة من (جر السبحة) والعبادة وبعد أن قال لنا أن الدنيا جيفة وطلابها كلاب ولا يكون لكم فيها محبة إلى غير ذلك من نصائحه الغالية التى يريد منها الباطل فقلت فى نفسى أليس يا سيدى الشريف جمعكم لأموال الناس التى تصفونها بأنها جيفة من ذلك الطلب ويعلم الله أنكم تنفرون الناس من الدراهم والدنانير لأجل تجمعونها فيها أنتم اليوم أغنياء والحران فقراء فكان الواجب عليهم اقتداء بكم أن يحفظوا أموالهم منكم وهى جيفة ولا طلاب إلا أنتم يا أرباب الطرق والخزعبلات ثم انتهى

زمن الزيارة وذهب كل منا إلى خلوته كما ذهب الأغنياء إلى الصراية لأنهم مقربون إلى الشريف حتى إذا أصبح الواحد منهم فقيراً لعن وطرده كالعصم الذى ذهب لحمه فيجب أن يلقى فى الزبالة وكان وقت الأكل قد جاء وإذا (بقدير) قد حضر يحمله يومئذ ثمانية وما أدراك ما (قدير) فهو قدح مليون بالعصيدة وحولها ملاح الشمروط وبعد وضع قدير نادى بعضنا البعض الآخر هلموا وانزلوا إلى هذه البركة فاحطنا به إحاطة السوار بالمعصم ومن شدة علو ذلك الجبل الشامخ أننا لا نرى الجالس من الجنب الآخر وقلنا باسم الله وتسلقنا تلك القمة الجبلية وإذا كوركت لأخيك ما يسمعك من شدة حركة القطع والبلع وبعد مجهود عظيم ترات الرؤوس وأصبح كل واحد منا ينظر إلى الآخر نظر المسابق فى مضمار الرهان وجوادى وجوادك ولقمة العربى قدر (راس العتوت) إلى أن طب كملت تلك العصيدة التى حلت فيها بركة (سیدی الشريف يوسف) وقد قال من أكل فى (قدير) لا يمرض أبداً وهذه من كراماته وما قولكم ما كدت أقوم من قدیر حتى شعرت بدوخة ثم تطورت هذه الدوخة إلى جنون فصرت أنبذ الناس من طرف لا فرق بين الصغير ولا الكبير ولما فرغ صبر الناس الجالسین معى فى الخلوة (شالونى طب العاصب) ودونى إلى سیدی الشريف لأجل أن يطير من رأسى الشيطان وبعد شيل وخت وصلونى إلى المحل الذى يجلس فيه الشرف فلما وصلت إلى ذلك المكان هدأت فقال لهم خلوه وأمرقوا وما كاد يصل كل واحد إلى مقره حتى عاد إلى الشيطان وشرعت فى العريدة وكان فى مجلس الشريف من الرجال (والصبيان) عدد ليس بقليل وكلهم أرادوا رمى فى الواطة فلم يستطيعوا لتعومتهم وخشونتى وبعد أن علت أصواتهم إياها تغلبوا على ببرودة أجسامهم لا بشيء آخر وكتفونى ورمونى على الأرض وما بقى معى حيلة غير اللسان وبما أنى أكلت من قدیر قدح سیدی الشريف وبسبب هذه الأكلة قد ركبنى

شيطان من خدامه وهذا الشيطان مغرم بالسجع فلا أكون مذنباً إذا نبذتهم بما هو آتى فقلت لهم بتكتفونى يا لكترتوا وملتوا البلاد بالعطلة أشغال العباد . .
ياجمعتوا أموالنا وبالأتمتو عيالنا . يالعطلتوا الرجال ياخربتوا بيت الحلال .
بتكتفونى . الليلة عاد بقعد لكم فى الخلوات وويركم جمع الزكوات .
ياالجوعتوا الفقراء والمساكين يالعطلتوا شعائر الدين . يالبتخافوا من المتعلمين
وتهينوا الطلبة الراكعين هى يكى واحات أبوى الليلة بوركم المكشن بلا بصل
الليلة الدرتهوا معاى مالمقتوها يالكتر ماكم قلال يالأصيحتوا زى بنوك المال .
يالبتجمعوا البنك نوت يالما بتخافوا من الموت . يا كدادين العظام يالما بتخافوا
من أكل الحرام يالبتجيبوا للناس أكل القرض يالجبثوا ليهم المرض بتكتفونى
وترمونى فى الواطة عاد أنا كبش . يالجلود كم تريانة وبدينة ويالبتاكلوا للحمه
السمينه . يالبترقدوا فوق عنقريب الصاج الكبير يالبتقتوا بتياب الحرير الرسول
عليكم الحرير ما هو حرام يالوسعتوا الحشان . ويالكترتوا النسوان . يالما بتدوروا
من الحوار إلا الدراهم والدينار الرسول عليكم ما بتخافوا من غضب الجبار .
يالفتستوا البنات بالزيارات يالبتتهشوا عروض الحوارات كفاكم ولا أذدكم
يالجعلتوا الدين بقرة لبن واحده من الجالسين اسكت الجنل يقص رقبك فقلت
له .

أسكت أنت يالبترسلوا الخلافات فوق المخالى يالبتقولوا للدينا تعالى
ياجمعتوا النخيل يالما بتروضوا بالقليل . يالكثتوا نار القرايات يالبتتوا الصرايات
يالأطعتوا الكرمات وما بتعرفوا إلا هات هات . آخ توف جنى طار فكونى أنا
واقع ورا النشابه مرة الشرق ما بتعزوها . فلما سمعوا حليفتى فكونى ثم بعزم
الشريف على رأسى فطبت من الجنون فقلت له داير البركة فقال لى امشى
أدناك البركة فحلفت أنى ما استلمت ولا بركة واحده وكنت أطلب البركة
لأنها أظنها عملة كالريال مثلاً وأنا صادق فى هذا الحلف لأننى من اليوم الذى

اشتغلت مع خليفة الشريف إلى الآن لم أستلم مليماً واحداً حتى يدعى أنه أعطاني أجرة عملي هذا ظني لكن ضحكوا الحاضرين من كلامي وتعفلى وكيف لا أفهم معنى البركة ثم أخذوا يخادعوني لأجل أن يوجدوا الخيالات في رأسى فلم يمكن وأخيراً ذهبت إلى الخليفة الذى خدمنى فى بلاد الشريف الزراعية وهى كما تقدم طولها من الشرق إلى الغرب وقسمت عليه بالله العظيم هل دفع إلى بركة واحدة فقال لا فقلت لهم اسمعوا من خليفتمك جامع الزكوات ومسخر الناس فى خدمة البلدات أيجوز شرعاً تشغلى هذا الزمن الطويل وأخيراً تدنى بركتك وأنت تجمع الدراهم والدنانير من الصغير والكبير وهل يمكن أن أذهب إلى أحد التجار وأشتري منه فركة طلقنى لزوجتى بالبركة وهل أأكل عيالى البركة وهل إذا أراد الإنسان يشتري له أى شىء من الأسواق يمكن يباع له بالبركة اتقوا الله ولا تأكلوا أموال الناس بالحيل والمكر والخديعة وأنتم تعلمون فوالذى قسم الأرزاق على الخلق وأمرهم بصرفها فى ما يعود عليهم بالنفع أنا اليوم لا أخرج من هنا إلا إذا أخذت أجرتى كاملة بدون نقص لأن زوجتى وأولادى لا يأكلون البركة ويتقنون بها بل لا بد من الهدم والكسرة وهذه كلها بالدراهم والدنانير وأنت أيها الخليفة أقسم لك بالله العظيم الليلة ما تجيب الفلوس ألا أقطع خبرك فلما سمعوا كلامى ووجدوه حار لم يروا خلاص إلا بدفع الأجرة ولما قبضتها قلت لهم هل فيكم أحد يعرف تفسير قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وأنتم تعلمون فلم يجبنى أحد منهم لأنهم جاهلون فنظر يا عبد الله إلى حيل أرباب الطرق والعقائد التى يجمعون بها أموال البسطاء من الناس باسم الدين والبركة والتقوى والصلاح والحال أن الشريعة السمحاء تبراء إلى الله من حيلهم وأكلهم أموال الناس سحة وحراماً حتى صيروا الناس فقراء لا يملكون المليم الواحد وأصبحوا هم أغنياء كلما امتلكت خزانة من خزائهم

فتحوا غيرها وهكذا حتى يموت الناس جوعاً كيف لا يموت الناس وهم يسخرونهم أولاً فى زراعة أراضيتهم وثانياً يجمعون منهم الزكاة والفقراء يأكلون التراب وثالثاً إذا كان بقى درهم أو دينار يأخذونه بطريق الزيارات والنذور وبقية الخيل الشيطانية التى لا عد لها فكيف لا تكثر الأمراض والناس ليس عندهم ثمن الدواء وكيف لا تفلس التجار والناس قد صرفوا جميع ما عندهم فى زيارة سيدى الشريف وأمثاله ولم يبقى فى جيوبهم الدرهم الواحد لأجل شراء الحجيات للنسوان والعيال من هدموم وغيرها كيف لا يكون البلاء أشد وأعظم من ما هو حاصل وهؤلاء يجمعون الأموال ليحفظوها فى خزائنتهم لتدفن معهم فى قبورهم أننا ننصح إخواننا المسلمين الذين تدفعهم سلامة النية وحسن الطوية إلى صرف أموالهم فى مثل هذه الزيارات والنذور وغيرها أن يصرفوا أموالهم فى بيوتهم على أزواجهم وعيالهم لأن الإنسان مكلف شرعاً بالقيام بجميع ما يلزم للزوجة والأولاد من كسوة ومسكن وأكل وغير ذلك من المصاريف التى لا تقوم الحياة البشرية إلا بها فهذه المصاريف تكلف الإنسان شيئاً كثيراً وما ذلك الشئ إلا تلك الدراهم التى تصرفونها فى الضلالات والأباطيل والخزعبلات التى لا تنفعكم فى الدنيا ولا الآخرة أن الدراهم نعم من الله فيجب على الإنسان أن يصرفها فيما يعود عليه بالنفع أضف إلى ذلك أن الإنسان يحصل له العرس والطهور والبكاء وكل هذه الأشياء تكون بالفلسوس وليس شئ أقرب للإنسان من جيبه ولا يدخلون عليكم الأوهام والأضاليل فليس من أهالى الطرق والعقائد الذين نراهم فى زماننا هذا صالح ولا لهم كرامة بل هم قوم يأكلون أموالكم بالباطل والدليل على قولنا هذا فقركم وغنائمهم وأن الشريعة الإسلامية الغراء بين أيدينا فليس فيها شئ من بدعهم وخزعبلاتهم التى أحسنوا صنعها ظاهرها الدين وباطنها الضلال المبين فالعاقل من أخذ حذره من هذه البدع ولا قصدنا من هذه

النصيحة إلا وجه الله الذى أنعم عليكم وعلينا بجزيل النعم ومنها الأرزاق فيجب أن نصرّفها فى الواجبات المعيشية التى لا بد للإنسان منها وهذا قدر يسير من أفعال أهالى الطرق وسنعود إليه فى حديث آخر إن شاء الله وإلى هنا تم الحديث الثامن وكنت قد خرجت من منزل سيدى الشريف وسأعود إليكم فى وقت آخر لأحدثكم عن مشهداتى وأرجو أن يكون قريباً.

الحديث التاسع عن التجارة

حدثنا عباد قال قد حدثتكم أيها القارئ الكريم عن البيع والشراء فى الحديث الثالث وقصدى اليوم أحدثك عن المعاملة الحاصلة بينى وبين الزبائن الذين يشترون منى لأنها إذا كانت غير طيبة خسرت أنا وأما هم فلا يخسرون شيئاً لأنهم يحولون (الدفة) ذات اليمين وذات الشمال كما يريدون ولما كانت حياة الإنسان لا تقوم إلا بالأكل والشرب والكساء والمسكن إلى غير ذلك من لوازم الحياة ولما كانت هذه الأشياء كلها لا يمكن للإنسان أن يتحصل عليها إلا بالقرش ولما كان هذا الدرهم لا يمكن تحصيله إلا بالعمل كان الواجب على كل إنسان أن يجعل له عملاً شرعياً من تجارة أو زراعة أو صناعة أو أى عمل غير ذلك يكتسب منه القدر الكافى لحفظ حياته ولا ينفع الكسل والخمول لأى حياة ليست تحفظ بالنوم وإنما تحفظ بالعمل المتواصل فيجب على الإنسان إذا أراد أن يأكل طعاماً طيباً وملبساً حسناً ويسكن فى بيت جميل أن يشتغل بجد ونشاط وأما من يقعد من ضل الضحى إلى ضل العصر فلا يزعل أن (أكل حبل العنقريت فيجب عليه أن يسعى ولكل مجتهد نصيب وليس له عذر من الأعذار التى تجدها عند الناس الذين يريدون أن يتملصوا من الكد والاكْتساب بل ينامون وغيرهم من أهلهم وذويهم فى عراك مستمر فى طلب الأرزاق التى لا تأتى إلا بالتعب وما على الكسالى (إلا أن يأكلوها مملحة وشرطاً الملاح

يكون مكشّن والبصلة غير محروقة) فكان الواجب على أ أسعى وبحكم
الأخذ والعطاء قد تجمعنا الظروف مع بعض الناس بخصوص الديون فيأتي
الواحد ويشترى منك فيدفع لك هذا في المرة الأولى أما في الثانية فيتأخر عن
المعاد الأول وتفضل أنت خاتى إيدك فى قلبك أما فى المرة الثالثة (فكوه وطار)
وتكوس فى الأرض وفى السماء فلا تجمد ولا ريحته وإذا أسعدك الحظ وطب
قبضته يخلق لك عذر من تحت الأرض ويمين وعلى بالطلاق إنت فى محلك
قروشك تحميك وإنت يا مؤمن يا مصدق وبتين يجى العصر ويقول الأذان الله
أكبر ولكن تستن عصور عديدة ولا تشوف زول يشبه فلان ألدواغ وإذا عرفت
البيت بواسطة شيخ الحارة تجمد مكتوب على بابيه ما فى هذا إذا كان الذى
تطلبه الدين بيخجل شوية أما إذا كان من الذين فرغ ماء الحياء من وجوههم
فإنه فى أول مرة ترسل إليه الولد الصغير ولكن يعود بكلمة (الله يحزن عليك
يا صاحب الدين) حس قروش ما عندنا الله يجيب القروش والمرسال الثانى
شرحه والثالث (ياخذ ليه دقة ولا كف) وإذا جيت تسأل عن السبب يجرك
العكاز المضرب وتقول بم العود يأكل راسك ومحل ما يعجبك امشى ومحل ما
تشوف عينك خت كراعك وتبقى عليك حكاية المرة التى نزل عندها الضيف
وكان راجلها مافى فجابت ليه العشا ولما ملء كرشه راودها عن نفسها فقالت
ليه عشا الراجل وكمان يالضيف وأنت يا صاحب الدين بالمثل حقوقنا وكمان
النبد والعكاز هذا إذا كان من تطلبه الدين موجوداً فى داخل البلد أما إذا كان
مسافراً فيجب عليك قبل كل شىء أن تشتري ألف جواب بطروفها ومثلها من
طوابع البوسطة وتخصص جزءاً كبيراً من الليل لتحرير كتابة الجوابات إذا كنت
تتول أعمالك بيدك أما إذا كنت من التجار الذين لهم كتبة فإنك تأمرهم أن
يوقفوا حياتهم لحساب فلان ودفتر الذمات وتحضير الكشفات ومع التعب

الشديد ومصاريق البوسطة هل تظن صاحبنا يرد عليك، أبداً وألف أبداً ويجب عليك فى كل بوسطة واردة من الجبهة التى هو فيها الاستعداد (للوردة وحبوب الكينا) يجب أن تكون جنبك وتتمنى لو تكون من الطيور السابحة فى السماء لتأخذ لك (خفصة لعنده) وتوربه كيف يقرأ جواباتك وأما إن كان من الجماعة الموظفين فإنه فى أول مرة إذا كان لا يعرف خطك يشناق لقراءة الجواب أما إذا كان يعرفه يشرطه ولا يتعب حضرة جنابه بالقراءة وما فىش فى بعض الأوقات قبر يرقد فيه أجد من الناس إلا جواباتك أنت بالخصوص زى سبت المهملات أنت الفاضل الذى تشهد دفاترك بأنك تفتح له حساباً جارياً من الكرفة إلى زر الطربوش إلى رباط الخدمة بل يمكن مصاريق البيت الضرورية تؤخذ نقدية من دكانك ومع هذا كله تقابل فى جميع الأحوال بالنبد والشتيمة وأخيراً جزاء المعروف عشرة كفوف وروح اشتكى وبعد أن تسير القضية السير الطيب الطبيعى وتفرح بالحجز (شن بتلقه) أو ماذا تجد عنقريب من جبل ساهه ويمكن يكون بتاع الوالدة ويا ليت لو كانت الماهية صرفت فى شىء نافع لكان البطن ما فيها وجعة لكن المصيبة فى صرفها فى ما لا ينفع ويمكن العيال فى البيت جعانيين وعريانيين والمرية دايرة الدهن والريحة وحضرة الأفندى ودرها فى القمار والبوكر وغير ذلك من ألعاب إبليس التى لا أعرف من أسمائها شيئاً فلا سدّد الديون ولا جاب للولادات ملوة العيش والمرّة الشعفة تأكل جلدّها من عدم الدهن ولوازم النسوان ومع كل العيوب الأدبية المذكور منها (والمحذوف) تجده فى الدرب وبين الإخوان (نخيرته) فى السماء ويا الواطة ما فىك إلا أنا هذا كله قد حصل لى مع الزبائن من أفندية وغيرهم وما خفى أعظم مع العلم بأن الإنسان بصفته مسلماً يجب عليه أن يكون وفيّاً لديونه التى يجرها من التجار الذين أصبحوا يشتكون من جميع عملائهم

الذين يجرون منهم مع الحاجيات التي تلزمهم وبالأخص أولاد البلد فأصبح التاجر إذا دين أحد الناس شيئاً يجب عليك أن يكتب على دفتر الزمات دفتر الديون على الأموات أو الديون التي وقعت البحر إن الإنسان الذي يدفع إليك ماله احترامك جداً وجعلك كنفسه تماماً بتمام وهل هناك شيء أعز من المال نعم (الذمة والشرف) ورد حقوق الناس إلى أصحابها هكذا يجب أن يكون الإنسان عفيفاً وفيّاً لجميع الالتزامات المالية التي للناس أجراً وثواباً إذا أقرض أخاها المسلم ديناً فما نحن نرى كثيراً من التجار يدفعون أموالهم لإخوانهم المسلمين بصفتها ديناً ولكن بالأسف لا وفاء لبعض الناس حتى أصبحوا يقابلون هذا المعروف بالنبذ والشتمة والخصومة أن الله قد يغفر للإنسان بفضلته جميع الآثام ما عدا حقوق الناس فيجب على المسلم أن يكون مثلاً عالياً في المعاملة الحسنة لجميع الناس لأن من تجاح التاجر في تجارته أن يشهد له التجار الذين تربطهم معه صلة المعاملة وهي في صالح التاجر أكثر من غيره والأعرب من هذا بأن فلانا مثال الذمة والشرف قد يأتي إليك ويطلب منك ديناً ويعد أن تحك دقتك وتتوقف وتردد وربما يحصل منك تكبير أصحاب المال فتصر وجهك ولا تكشر ويعد كل هذا تديه الدايه منك فيختها ليك في بطنه ويديك ألف مشوار ومشوار حتى يديك القروش لكن بعد أن تسلم على المركوب المنقل والتكبير الحصل منك في الأول يحصل منه في الآخر والأعجب من كل ما تقدم أنك تظن الخير في أحد الناس وتدفع إليه قدرًا كافيًا من المال وتكون الظروف حسنة فيربح ربحاً طيباً ولكن في آخر الحساب يطلع ليك كسوراً وبواقياً ويمكن يشرع في بناء بيت ولا عرسة وأنت قد تكون غير عالم بالعمل الجارى وبعد شوية تجد الدكان أصابه مرض النقصان (والفار يلعب في عبك) وإذا شدد الحبل في المطالبة يقول ليك تسكت ولا أفلس

يجب عليك إن كنت داير فلوسك أن تزيد الدين حتى يقوم الدكان من المرض ولا حتى تلد المرة إذا كان عريساً فتصبح معلقاً أنت بين السموات والأرض تزيد الدين طويل عليك حبل الفلوس تترك الدين (وردة) الدراهم تمسكك ترفع عليه قضية ينوم في الخط وفي النهاية يقرى عليك المثل (ده طويل وده قصير وده حرم ما انكوى به) بل زادت الذمم خراباً على خرابها فأصبح التاجر يستدين حتى إذا شبعت كرشه يفلس ويخلي أرباب الديون يشربوا من البحر أو من النيل الأزرق ولا من بحر أبيض وقد تكون في بعض الأوقات ليس لك في الأمر شيء وتدعوك المروءة لضمانة أحد التجار وتوقع على السند أو الكمبيالة (ضامن غارم) وأنت متوكل على الله وعلى هذه الشعبة المائلة أن تسدد ما عليها من الديون ولكن كل ذلك ادقاس أحلام وأنت لا تدري ولا تعلم حتى يحضر إليك صاحب الدين وبعد السلام عليكم ياخذ ليه سكتة شوية ويواجهك بالحقيقة المرة وهي فلان المضمون فلس والأمل تسدد حضرتكم ما عليه وأنت لا تكاد تسمع هذا الكلام إلا تبقى (زى المرة الجابوا ليها خبير الموت سجم خسمى فلان فلس) وبعد ما كنت ظاهر فوق الكرسي تهبط وما يفضل شيء إلا العميمة ويمكن تطير من راسك ويا ولد العباية ونصها فوق كتفك والنص الآخر يجرب بالواطة ولى عنده وبعد السلام والبركة وأنت تقول (الله يكضب الشيتة) وتريد تلوم تمساح اللية بقولك فلان حضر إلينا اليوم وظالنا بسداد المبلغ الذى له عليكم ونحن الآن فى حاجة إلى تسديد ما علينا فالأمل أن تدفعوا له المطلوب منكم ولكن المكرر أحلى أنا فلست يا شيخ غير بدل وتبقى تحزم واتلذم إن كان يقاتل ويرده صاحبنا نايم فى التراب وإلى آخر الخط أنا فلست والأجاويد يقوموا ويقعدوا والعوة تقيف قرش ونص وأخيراً تدفع الفلوس الجنيه يحك الجنيه لصاحب الدين وتبقى

تشك الطلب إنت وبلاع الرجال الذى قتل الجداة وخم بيضها ونجى تحجز على البيت والحوش الحدادى مداى أو الدكان تلقاه كتبه باسم المرة ولا الولادات والبياكك أبصر منك وبعد يومين ثلاثة تجد التماسح غير الهدوم ودور فى الشماعة بتاعت الغيارات وبعد الكواسة الطويلة يجد ليه قفطان قديم وفرجية ولا عباية فيها مية رقعة ليمثل الزهد والورع ويلازم صلاة الجماعة أما المركوب بتاع الفاشر ركنه فى البيت ولبس الجذمة القديمة التى خاتها للخوادة فى موية المطرة وبقى الشارع الوحيد الذى يروح ويجى منه خشم دكانك حتى تأمن أنه صادق فى هذه التفليسة وليس هى (بلفة) ولكن بعد فوات مدة التفليسة تجد المياه عادت إلى مجاريها حتى تصل إلى مستواها الأول وأنت عينك فى الفيل وتظعن فى ضله وفى الختام الله يعوض علينا وعليك ولكن التجار زى النسوان الواحدة تضوق فى زمن الولادة العذاب ولكن بردها تحمل وهم كذلك الواحد ياكله المرة بعد المرة ويرده يدين والجوع يعلم أكل الصدقة وربنا يظهر نفوس الناس حتى يخلصوا حققوا الناس والظلم ليس من خصائل الرجال الحميدة بل يدل على حساسة النفس وعدم المروءة كيف ترتاح نفس كريمة لأكل أموال الناس بمثل هذه الحيل والأباطيل وما ذكرته بعض ما هو حاصل وإن كان هناك حيل وشراك يعجز منها إبليس وفى هذا القدر كفاية وسأحدثك أيها القارئ فى يوم آخر عن العرس إن شاء الله وإلى هنا تم الحديث التاسع عن التجارة ويلىه الحديث العاشر عن التكبر.

الحديث العاشر عن التكبر

حدثنا على قال قد أخبرتك أيها القارئ عن ما حصل لى عند أكل عصيدة سيدى الشريف وما أصابنى من الجنون بسبب أكل البركة والسجع فى حديثى فى ذلك الوقت لأ العدو سرت إلى من حاشيته نفعنا الله ببركاتهم أما

حديث اليوم فهو عن التكبر والنخيرة المرفوعة في السماء والعجرفة والقلاصة
الفارغة والطرطشة وشراب الشاهي بالروب فأنتك إن رأيت إنساناً متكبراً
وفات حده بلحيل بطنك بتوجعك وإن كان ما يياكل من جيبك وإن كان
والكبر مغروس في نفس كل إنسان فإذا نظرت إلى الأولاد الصغار في أيام
الأعياد فإنك تجد من كان منهم هدومه سمحة وفي جيبه مبلغ قدره خمسون
مليماً يتكبر على بقية العيال وهم يحيطون به إحاطة السوار بالمعصم وهو يأمر
هذا ويضرب ذاك والكل لأمره طائعون لا لشيء سواه هدومه الجميلة والملايين
التي في خزانة جيبه وعلى كل حال هو طفل صغير له أن يفخر ويلعب
ويفرح لأنه لا يعرف شيئاً عن الدنيا ولكن الكلام كلام الكبار من الناس الذين
يرزقهم الله شيئاً من الرزق فلا يريدون أن يمشوا على الأرض ولا يتكلموا مع
سكانها وإن كان لهم مع سكان.



